إلقاء يونان النبي في البحر

يرجع هذا الرسم غالباً إلى ما بين القرن الخامس الميلادي والقرن التاسع في قباب هياكل قبور منطقة البجوات في واحة الخارجة بالوادي الجديد والتي تبدو وكأنها مدينة مهجورة، وهي تحتوى على ٢٦٣ هيكلاً أكثرها مزخرف من الخارج وقبابها مزينة بمناظر مختلفة من التوراة بالإضافة إلى المناظر المسيحية، ويرجع بناؤها إلى القرن الثاني الميلادي، وكان يستخدمها المسيحيون في دفن موتاهم والصلاة والعبادة فيها منذ أوائل عصر الاستشهاد (القرن الثاني الميلادي).

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٧ فبراير ٢٠٢٣م.

العدد ٦٤١ طوبه / أمشير ١٧٣٩ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

الرهبنة جوهرة الكنيسة ١

مقال للأب متى المسكين

علاقتي بالكتاب المقدَّس..... ٥

من كتابات القديس القمص بيشوي كامل:

رحلة صعودنا إلى الكنيسة ورحلة نزولنا إلى العالم .. ٨

من النصوص الآبائية: عظة عن موسم الصوم المقدَّس ١٣

من التراث الكنسي:

معرفة الله كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة (١) ... ١٩

ادخل إلى العمق (٣٠):

أيقونة موت المسيح وقيامته في سِفْر يونان ... ٢٣

دراسات ليتورجية:

الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية (١) ٢٩

من الخبرات الروحية: الاختبار المسيحي الحقيقي ٣٣

مفاهيم كتابية: ومضات من نشيد الأنشاد..... ٣٦

بحث تاريخي: دير القديس الأنبا بلامون السائح (١) ... ٤٠

تقديم كتاب (١١): الإفخارستيا سر الحياة (٢)..... ٤٤

مقال بالإنجليزية:

Our Duty during Lent ٤٨

من تعليم آباء الكنيسة

للقديس يوحنا ذهبي الفم

منافع الصوم

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✞❁

[بعد أن تبيَّن لنا سواء مِمَّا فعله عبيد الرب (موسى وإيليا)،
بل ومِمَّا فعله الربُّ نفسُه،
عِظَمُ وقوة الصوم
والمنفعةُ الجزيلة التي تعود على النفس منه؛
أتوسَّل إلى محبتكم، بعد أن عرفتم منفعته،
أن لا تُبطِلوا فوائده بتهاونكم،
وأن لا تتململوا عند قدومه؛
بل بالعكس أن تفرحوا وتتهلَّلوا،
لأنه كما يقول الطوباوي بولس:
«كلَّما يفنى إنساننا الخارج، فإن الداخل يتجدَّد» (٢كو ٤: ١٦).
فإنَّ الصوم هو غذاءٌ للنفس،
فكما أنَّ الطعام الجسدي يُدْسِم الجسد،
هكذا الصوم يُنعِش النفس ويَمُدُّها بأجنحةٍ خفيفة،
ويجعلها تُحلِّق في الأعالي،
ويُعطيها القدرة على أن تتأمل فيما فوق،
ويرفعها فوق شهوات العالم الحاضر وملذَّاته].

عظة في بدء الصوم الأربعيني

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد
أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيها
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٢٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية
١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى
يُسدد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**
عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٣
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

الافتتاحية

الرهبنة

جوهرة الكنيسة

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

+ **«إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي»** (مت ١٩: ٢١).

+ **«وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ»** (مت ١٩: ٢٩، ٣٠).

هذه الآيات هي جذور الحياة الرهبانية في الكتاب المقدَّس، حيث صارت الرهبنة بالحقيقة هي جوهرة الكنيسة الثمينة، لأنها تُمثِّل الحياة المسيحية النقيَّة.

وقد ظهرت على أرض مصر المُباركة في القرن الثالث الميلادي، وصار افتخارنا بأنَّ أول راهب كان مصريًّا هو القديس أنطونيوس الكبير أب جميع الرهبان في العالم.

ومن مصر انتشرت الرهبنة إلى معظم ربوع العالم وصارت بالآلاف، وفي بلادنا مصر هناك أكثر من خمسين ديرًا عامرًا غير عشرة أديرة قبطية خارج مصر.

وبالطبع هناك مئات من الأديرة المُندثرة والتي ما زالت أطلالًا أو آثارًا تنتظر التعمير والتجديد.

ولأن الرهبنة، حسب الطقس القبطي، تبدأ بصلاة الراقدين (الأموات)، نُسمِّيها "رهبنة الكفن". حيث يتغطَّى الراهب أو الراهبة أثناء إقامته بسِتر وكأنه كفنٌ، ولهذا ثلاثة معانٍ روحية ورمزية:

١- الرهبنة هي صومٌ عن الناس بالمعنى المادي للكلمة، فالإنسان بعد أن يُقام راهبًا يبتعد عن العالم ولا يشتهي أيَّ شيءٍ فيه ولا يميل لأيِّ إنسانٍ.

٢- الرهبنة هي صومٌ عن الذات، لأن الذات هي الأنا أو Ego التي تتحكَّم في الإنسان، فيتكبَّر وينتفخ ويسقط بعيدًا عن الاتضاع والمسكنة الروحية.

٣- الرهبنة هي صومٌ عن الأرض لتكون السماء حاضرة أمامه كل حين، كاختبار بولس الرسول: «لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا» (في ١: ٢٣)، هذا ما نُسمِّيه "الحنين إلى السماء والاشتياق الدائم نحو الملكوت".

+ وفلسفة الحياة الرهبانية تقوم علي ثلاث دوائر هي التي تتحكَّم في حياة الإنسان، وهي: شهوة المال/ شهوة الجسد/ وشهوة السلطة والسيطرة:

الدائرة الأولي: شهوات المال والقنية والتملُّك والتي في البشر وصراعاتهم. وجاءت الرهبنة بفلسفة الفقر الاختياري، فالراهب يترك كل شيء ولا يتملَّك شيئًا ولا يرث شيئًا ويعيش في ديره الذي يُقدِّم له كل احتياجاته الأساسية حتي لا ينشغل بأيِّ أمـرٍ آخر ... ومن القصص الرهبانية عندما تنيَّح أحد الآباء ووُجِدَ في قلَّايته دينارًا، حينئذ قرر الشيوخ أن يُدفَن الدينار مع الراهب لأنهم استهجنوا وجود مال معه!!

الدائرة الثانية: شهوات الجسد والجنس الآخر والتي تعصف بالحياة الأبدية في سقطاتٍ أخلاقية عديدة، حيث جعلت الرهبنة فلسفة العفَّة والتبتُّل سبيلًا لحفظ نقاوة القلب والسلوك. وهذا ليس عداوة للزواج بقدر ما هو اختيار شخصي محض بكامل الحرية والإرادة، ليكون كل الوقت لله بلا مُنافس من زوجة أو أبناء أو مشغوليات.

الدائرة الثالثة: شهوات الذات وحُبُّ السلطة والسيطرة، ومَنْ يرى نفسه دائمًا على صواب وهو الأعظم المُتقدِّم، ويحيا في كبرياء وتفاخُر بدون أيِّ إنكارٍ لنفسه أو ذاته. وقد عالجت الرهبنة ذلك بفلسفة الطاعة القلبية للوصية الكتابية والديرية والطاعة لأب الدير. وتُعتَبَر الطاعة هي المبدأ الرهباني الأول ونُسمِّيه: "قَطْع الهوي"، وبغيره لا يمكن أن تستقيم حياة

الراهب، ودائمًا نقول: "على ابن الطاعة تحلُّ البركة، والمُخالف حاله تالف". وكثيرًا ما يختصرون الحياة الرهبانية في كلمتين: حاضر وأخطيت.

ومن المعروف أن الحياة الرهبانية نشأت في ظروفٍ معيشية متقشِّفة جدًّا خلال القرون الثالث والرابع والخامس الميلادي. وفي نفس الوقت كانت حياة مُتهلِّلة جذبت أنظار العالم، وكثيرون زاروا البريَّة وكتبوا عنها ومجَّدوها واتخذوها حياةً وعنوانًا وسبيلًا.

وقد ظهرت الرهبنة بعد عصورٍ من الاستشهاد والاضطهاد، ثم جاءت عصورٌ من الراحة بعد منشور ميلان للتسامح الديني في عصر الملك قسطنطين عام ٣١٣م، وبدأ المؤمنون يعيشون في راحةٍ وسلام، وربما بردت الحياة الروحية عند البعض مِمَّا جعلهم يشتهون حياةً فيها الزُّهد والنُّسك بديلًا عن أزمنة الاضطهاد والتي كانت فيها حرارتهم الروحية عالية وسماوية. بمعنى أنهم سَعَوْا بسبب حماسهم الروحي إلى الطريق الرهباني حتى يُعالجوا أيَّ فتورٍ أو جفافٍ في حياتهم الروحية. وهذا نمطٌ تقليدي في حياة الكنيسة، فمثلًا صومَا الأربعاء والجمعة من كل أسبوع هو من أجل يقظة الإنسان إذا عاش الكسل أو الإهمال في أيام الأسبوع الأخرى؛ وهكذا فترة الأصوام الكنسيَّة هي لتقوية الوازع الديني والروحي وحفظ الحرارة الروحية، وكذلك صوم الاستعداد للتناول من الأسرار المقدَّسة.

وللرهبنة الحقيقية عدَّة جوانب تُشكِّل الكيان الروحي لكل دير:

الجانب الأول: حياة التوبة: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ» (مت ٤: ١٧). وكل دير هو بمثابة جماعة رهبانية يعيشون معًا بهدف التوبة ولتشجيع بعضهم البعض على ذلك. والذين يزورون الأديرة يحتاجون أن يروا تائبين من سيرتهم ومنظرهم وأقوالهم، لأن الأديرة هي مواضع توبة أصيلة.

الجانب الثاني: حياة الصلاة: "صلُّوا كلَّ حين ولا تملُّوا" (انظر: لو ١٨: ١) فهذا هو العمل الرئيسي للراهب، حيث التسبحة اليومية والقدَّاسات والمزامير والألحان والصلوات الخاصة، كما نقول في التسبحة: "قلبي ولساني يُسبِّحان الثالوث". والصلاة الدائمة تعني حُبَّ الإنسان لله، لأن أغلى هدية يُقدِّمها الإنسان إلى آخر هي الوقت، والراهب يُقدِّم عمره وأيامه حُبًّا في الله من خلال الصلاة الداخلية مع الخارجية في السكون والهدوء، والذي هو سِمَةٌ مُميَّزة في التقليد الرهباني حيث سكون الحواس أحد جهادات الحياة الرهبانية.

الجانب الثالث: حياة الإنجيل: «فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ» (في ١: ٢٧). فالراهب هو إنسانٌ متخصِّص روحيًّا في الإنجيل: يدرسه ويقرأه ويتأمَّل فيه، ويمتصُّ الوصية منه ويعيشها في حياته، حتى يصير إنجيلًا مقروءًا من جميع الناس. ويذكُر لنا التاريخ أن آلافًا من الناس وحتى البابا القبطي كانوا يقطعون المسافات من أجل كلمة منفعة من فم أحد آباء البريَّة فعندما تقابل الأب البطريرك مع أحد النُّسَّاك، والذي ظلَّ صامتًا في حضرة البابا، وعندما طلب منه أحد تلاميذه أن يقول كلمة حتى ينصرف الأب البطريرك، قال له: [إن لم ينتفع من صمتي فلن ينتفع من كلامي]. وأخذها البطريرك واعتبرها كنزًا روحيًّا.

الجانب الرابع: العمل اليدوى أو الجماعى: وهو وسيلة مُكمِّلة لحياة الصلاة وحياة القراءة وحياة العمل، وتربط بينها حياة التوبة. والأديرة برهبانها أو راهباتها يقومون بأعمالٍ عديدة سواء زراعية أو صناعية بهدف خدمة المجتمع واستغلال المواهب التي يتمتَّعون بها، فضلًا عن اهتماماتهم بالبحث والقراءة والدراسة وتحقيق المخطوطات والكُتُب القديمة دون أي هدف للربح أو تحقيق فائدة مادية. والمعروف أن منتجات الأديرة تُساهم في سدِّ احتياجات المواطنين بصورةٍ جيدة يشهد لها الجميع.

في الحقيقة، **الرهبنة جوهرة الكنيسة** التي يجب أن نُحافظ عليها وعلى حياة الآباء الرهبان أو الأُمهات الراهبات، ولا نكُن سببًا في تعكير حياتهم أو إفسادها بالزيارات والضوضاء وعدم احترام خصوصياتهم. إنها مسؤولية كبيرة على الجميع. أتذكَّر عبارة القديس يوحنا ذهبي الفم عندما زار البريَّة في مصر وكتب عنها: [السماء بكلِّ نجومها ليست في جمال بريَّة مصر بكلِّ نُسَّاكها].

فلنحفظ جمال البريَّة وقداسة البريَّة، ونصون حياة ساكنيها، ونفرح بصلواتهم الدائمة من أجلنا ومن أجل بلادنا وكل العالم.

البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقال للأب متى المسكين

علاقتي بالكتاب المقدَّس[1]

- **مقتطفات من لقاء الأب متى المسكين مع بعض من رؤساء الأديرة البنديكت الأفارقة.**

⊙✠⊙

بداية اللقاء رحَّب الأب متى بضيوفه، وأعرب عن سعادته بلقائهم، وقال:

الشعور بالحياة والاتحاد بالكنيسة الجامعة:

إننا منذ عهد الرسل ونحن لا نكفُّ عن الصلاة من أجل وحدة الكنيسة ونشر المحبة المتبادلة بين كل المسيحيين.

وأنا منذ بدء حياتي الرهبانية عام ١٩٤٨، كان لديَّ شعور داخلي جارف برغبتي في الحياة مع الكنيسة. وقد لبَّى الرب رغبتي، إذ بعد مرور بضعة أيام لدخولي الدير، أحضر لي صديق من القدس هدية، عبارة عن مجموعة كُتب بالإنجليزية لبعض الكُتَّاب القديسين الروس غير المعروفين لدينا في ذلك الوقت.

وقد عشتُ معهم كثيرًا، وكنتُ معتادًا على الصلاة طوال الليل مع ترجمة فقرات من هذه الكُتب وتسجيل الآيات التي تحمل نفس المعنى من الكتاب المقدَّس، وكانت نتيجة هذا العمل هو كتاب ضخم باللغة العربية من حوالي ٨٠٠ صفحة اسمه: "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، وقد تمَّت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية مؤخَّرًا.

أنا أتحدَّث معكم الآن كما أتحدث أمام الله. فأنا أومن جدًّا بقول القديس بطرس: «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» (١بط ١: ٢٣). إن كلمة الله هي التي تلد دائمًا، وأنا وُلدتُ من كلمة الله.

كلمة الله والامتلاء بالروح القدس:

إن كلمة الله هي من وحي الله، وكُتبت من الروح القدس. إن أيَّ شخصٍ يقرأ هذه الكلمة بإخلاصٍ وبقلبٍ واعٍ، فهو في الحال يكون على اتصال بالروح القدس.

---

(١) تمَّ هذا اللقاء في ١٢ مايو سنة ١٩٩٤.

إن الميلاد الجسدي يحدث مرةً واحدة؛ ولكن الميلاد الروحي يحدث على مدار الأيام، ويتحقَّق بالأعمال العديدة المتتالية.

في كل مرة نقرأ الإنجيل نشعر وكأننا وُلدنا من جديد. إن قراءة كلمة الله يمكن أن تكون قراءة مُبسَّطة للمعرفة والبحث، ولكن هناك قراءة أخرى وهي التي تؤدِّي إلى رغبة في ميلادٍ جديد. وهذا هو ما أريد أن أُحيطكم بها اليوم. وهذه الطريقة أزعم إن لي خبرة متواضعة بها، وأثق أن الله أرسلكم إلى هنا من أجلها.

الهذيذ بكلمة الله:

أنا أقرأ الآية مرة، اثنين، وثلاث مرات، بقلبٍ مفتوح إلى أن أتشرَّبها تمامًا، وأشعر أني توصَّلتُ لشيءٍ ما، ثم أُعاود القراءة ببطءٍ شديد حتى أتوصَّل إلى المعنى الروحاني الدقيق لهذه الآية. وفي نفس تلك اللحظة يحدث الميلاد الجديد. وآية بعد آية، وأصحاح بعد أصحاح على مدار الأيام، يكتمل المعنى الجديد وتبدأ معها الحياة الجديدة.

وفي الحقيقة، إن الإنجيل المقدس هو الباب الأوحد الذي فُتح لنا من الآن لنصل إلى الحياة الأبدية. ولهذا قال المسيح: «هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧: ٢١). إننا نصل إلى الملكوت عن طريق الكلمة. فبدون الإنجيل لا يمكن أن نتوصَّل لا إلى الحياة الأبدية ولا إلى الله.

انظر إلى إنجيل القديس متى، يبدو أنه يختلف كثيرًا في أسلوبه عن إنجيل القديس يوحنا، وعن رسائل القديس بولس. في الواقع أن كلمة الله الحيَّة تُقدَّم لنا بأساليب عديدة حتى يتمكَّن الشخص من أن يتواصل معها بطُرقٍ عديدة.

عندما كنتُ أكتب تأملات عن إنجيل القديس يوحنا، لاحظتُ فيها بانبهارٍ كمًّا هائلًا للمعاني المُقدَّمة، وكم هي متناغمة ومتصلة بعضها ببعض بطريقةٍ عميقة، رغم تنوُّع طُرق التعبير عنها. فأنت عندما تكون على اتصالٍ بالروح القدس الذي أوحى بهذه الكُتُب المختلفة، سوف لا تجد أيَّ صعوبةٍ في فهم أيَّة آية من الكتاب المقدس.

طريقتان لقراءة الكتاب المقدس:

إننا يمكن أن نُجيز طريقتين للتعامل مع كلمة الله:

الأولى: بدأها الله عن طريق الرسل ويُكمِّلها إلى الآن، وهي تتمثَّل في تملُّك الروح

القدس على الإنسان، وهي لا تهدف إلى التعلُّم، ولكن إلى بدء الروح بالتحدُّث إلى الإنسان لإعلان كلمته. وقد يحدث أن تتحقَّق المعجزات ويشهد لها آلاف من الحضور مهما كانت درجة إيمانهم. وهذا ما كان الرب يسوع يفعله. ومع هذا، فالمسيح أَبْدَى قلقه ذات يوم وقال للشعب: «لاَ تُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ وَعَجَائِبَ» (يو٤: ٤٨). ومع ذلك كان يفعل المعجزات! لماذا؟ لأن هذا هو الإنسان. ولكن، في الحقيقة، إنه عندما تحدث المعجزة يُصاحبها الإيمان بكلمة الله دون شكٍّ.

والطريقة الثانية: هي بعمل الروح القدس وكلمة الله، حسب قول القديس بطرس: «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لَا مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لَا يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» (١بط ١: ٢٣). فأنتم عندما تُعطون الإنجيل وقتًا كافيًا، فسوف تدخلون في اتحادٍ مباشر مع الروح القدس وكلمة الله.

خُذْ وقتًا هادئًا في الإنجيل واقرأه ببطء، وامزج القراءة بالصلاة، رافعًا قلبك للرب حتى يطغى الروح القدس، فتستطيع أن تستجلي المعنى الروحي الذي يريد الرب أن يوصِّله إليك.

دير القديس أنبا مقار **نُشر حديثًا**

لقداسة البابا المعظَّم

الأنبا تواضروس الثاني

كتاب

"الحب"

فن وحياة

(مقالات سبق نشرها تباعًا في افتتاحيات مجلة مرقس

ابتداءً من عدد نوفمبر ٢٠٢١ إلى عدد نوفمبر ٢٠٢٢)

من كتابات القديس
القمص بيشوي كامل

رحلة صعودنا إلى الكنيسة
ورحلة نزولنا إلى العالم[1]

❀ ❀ ❀

معلوم أن الكنيسة هي بيت الله، بيت أبينا. ولِدنا في هذا البيت ولادةً من فوق، أي سماوية. وبمجرد خروجنا من معموديتنا أطعَمَتنا الكنيسة من جسد ربنا يسوع، وأسقتنا من دمه. وهكذا طيلة غربتنا في العالم، نصعد إلى الكنيسة (بيت أبينا) كل يوم ونأخذ منها قُوْتنا الذي للغد ثم ننزل، ومعنا الله، إلى العالم. نودُّ أن نبقى دائمًا فيها، ونقول جيدًا أن نكون ههنا، ولكن السحابة تختفي، ويوجد يسوع وحده في حياتنا، وينزل معنا إلى العالم. ولكن العالم ليس بيت أبينا، فنرجع ونصعد إلى الكنيسة ... ونستمر في معيَّة يسوع، نصعد وننزل طول غُربة حياتنا، إلى أن تَقْوَى عضلات إنساننا الداخلي، فننطلق إلى الرحب اللانهائي، حيث يُطعمنا الله من طعام الحقِّ إلى الأبد.

لقد أخذ الرب التلاميذ وصعد بهم إلى جبلٍ عالٍ ليُصلِّي، وهناك كانوا (كأنهم) في السماء، وشاهدوا موسى وإيليا معه بمجدٍ عظيم، واشتهوا أن يبقوا معه إلى الأبد، ولكن يسوع أخذهم ونزل معهم للعالم، ولا نعلم إن كانت حادثة التجلِّي قد تكررت معهم أم لا، ولِمَ لا؟

رحلة الصعود:

١ – الصعود اشتياقٌ وعطش: الاشتياق هو الحب الشديد، كقول النشيد: «أَسْنِدُونِي بِأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ. أَنْعِشُونِي بِالتُّفَّاحِ، فَإِنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا» (نش ٢: ٥)، فالاشتياق يصل إلى المرض، وهذا الشوق يتحوَّل إلى عطش: «إِلهِي عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسي» (مز ٦٣). فواضح أن العطش هو إلى الله ذاته. في هذا الشوق نعيش كل أوقات وجودنا خارج بيت أبينا: «الْعُصْفُورُ أَيْضًا وَجَدَ بَيْتًا، وَالسُّنُونَةُ عُشًّا لِنَفْسِهَا حَيْثُ تَضَعُ أَفْرَاخَهَا» (مز ٨٤: ٣). لذلك ينبغي أن يكون لنا اشتياقٌ شديد إلى الله، وأن يكون هذا الهدف واضحًا عند الصعود لمذبح الرب، أو عند التناول.

٢ – نصعد لنُقدِّم ذبيحة الشكر: القداس، الإفخارستيا، هو سر الشكر. نشكره لأنه أعاننا وأتى بنا إلى هذه الساعة، نشكره لأنه خلَّصنا، نشكره لأنه ملأ الكلَّ فرحًا، نشكره لأنه في وسطنا

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد يونيو ١٩٧٣، ص ٩.

فلن نتزعزع، ونشكره من أجل نعمة البنوَّة. إن القداس كله هو ذبيحة شكر.

٣ – الصعود توبة وتحقيق لغربتنا في العالم: الصعود يعني الارتفاع عن تفاهات العالم، عن شهواته ومراكزه، عن مجاملاته، مشاريعه: «أَسَاسُهُ فِي الْجِبَالِ الْمُقَدَّسَةِ» (مز ٨٧: ١)، «أَرْفَعُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ» (مز ١٢١: ١).

في طريق صعودنا، سنجد الآب يركُض ويقع على عُنقنا ويُقبِّلنا، ويستمر في تقبيلنا بلا توقُّف، أما الابن فسنندهش عندما نجده واقفًا مؤتزرًا بمئزرة ليغسل أرجلنا ويمسح دموعنا. هذا هو سرُّ التوبة للنفوس الصاعدة لشركة جسد الرب.

نحن في العالم غرباء، وسنشعر فيه بالغربة، أما في القداس فنحن أصحاب بيت، بيت أبينا. ندخل ونخرج ونجد ظلًّا عِوضَ حر الشمس، ونجد مرعًى عِوضَ عيشة الخنازير. إنه بيت أبينا الذي يؤكِّد لنا غربتنا في العالم.

٤ – أصعد لآكل، لكي أحيا وأثبتُ فيه: إن العالم لا يقدر أن يُقدِّم إلا الطعام للجسد الترابي. بينما صوت الرب يرنُّ: «إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ» (يو ٦: ٥٣). وعندما آكل تتأصَّل جذوري في المسيح، الكرمة الحقيقية، ولا أصير قصبةً في مهب ريح العالم، بل عمودًا في هيكل إلهي. وعندما أثبت فأنا أُثمر: «الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يو ١٥: ٥).

٥ – نصعد لنقول قدوس مع الملائكة والقديسين: الكنيسة هي السماء، حيث يسوع وفيها ملائكته وقديسيه، إنها قمة جبل التجلِّي، هناك نتقابل مع القديسين، وبالأكثر القديسة المملوءة مجدًا العذراء كل حين.

والقداسة هي النغمة الوحيدة الحلوة التي يُردِّدها الجميع حول المذبح، ولا يوجد شيء غيرها، ودم يسوع له القدرة أن يستوعب أعظم شرورنا. وللحال نجد أنفسنا في السماء ونقول: "أصعدتَ باكورتي إلى السماء" (القدَّاس الإلهي)، ونُردِّد "إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس نُحسَب كالقيام في السماء" (الأجبية).

٦ – نصعد لنمتلئ فرحًا ونعيمًا: "املأ قلوبنا فرحًا ونعيمًا ... كل حين نزداد في كل عمل صالح" (القدَّاس). العالم يملأنا حزنًا حتى نصل أحيانًا لليأس والفشل بسبب انتشار الخطية وقوتها في العالم، وأن أكثر قتلاها أقوياء. نأتي حزانى من أجل الذين لم يذوقوا بعد حلاوة محبة الله، ومن أجل المرضى والمظلومين والمأسورين والمتضايقين. نأتي إليها فنجد الرب يقول:

«تَعَالَوْا إِلَيَّ... وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (مت ١١: ٢٨)، «سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا» (يو ١٤: ٢٧)، «أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا» (مت ١٤: ٢٧). عندئذ أقف ثابتًا «أمام مذبح الرب الذي يُفرِّح شبابي» (انظر مز٤٣: ٤). ونصعد إليك ونحن نئنُّ من أجسادنا ونقول طهِّرنا يا رب، ونسمع الكاهن يقول: "وطهَّرنا بروحه القدوس"، فالطهارة هي اتحاد بالله، عندئذ أقول: "وهبتني أن أشرب كأس دمك طاهرًا، أعطِني أن أمتزج بطهارتك سرًّا" (القدَّاس الكيرلسي).

٧ – ونصعد لنسأل الرب من أجل الجموع: نقول له: مَنْ يُشبع هذه النفوس الجائعة؟ لا يكفيهم ولا بمئتَي دينار، وليس عندنا. نحن نؤمن أن ذبيحتك لها القدرة لا أن تُشبع الخمسة آلاف خبزًا جسديًّا فقط؛ بل روحيًّا ونفسيًّا. لا يمكن أبدًا أن تخرج نفسٌ واحدة جائعة، بل تخرج حاملة قُفَّتها مملوءة خبزًا.

الصعود إلى بيت الرب هو صعود مع الرب يسوع خطوة خطوة إلى الصليب. لذلك فالصعود عملية صعبة، لا تتمُّ إلا بقوة الرب يسوع، وفي معيَّته وبمعونة صلوات القديسين.

أنواع من الناس يسيرون خلف الرب يسوع:

حينما كان يسوع صاعدًا في الطريق للصليب، كان يسير وراءه عيِّنات مختلفة من الناس، فمن أي نوع نحن يا تُرى؟

١ – هل نبكي أثناء القداس مع بنات أورشليم؟ نبكي بجهل على أي شيء غير خطايانا؟ فنسمع صوت الرب: "توبوا ... لا تبكوا عليَّ بل على خطاياكم وخطايا أولادكم" (انظر: لو ٢٣: ٢٨)، وهنا كَشَفَ الرب لنا أن طريق الصعود معه ينبغي أن يرتوي بدموع التوبة، وإدراك أن الذبيحة الموجودة على المذبح هي من أجل خطايانا.

٢ – أو نقف مع الجموع المتزاحمة خلف المسيح بدون وعي، كالحاضرين القداس الإلهي، كمجرد عادة بدون اكتشاف البركات العظيمة جدًا والخطيرة في ذبيحة القداس، ذبيحة الصليب.

٣ – أو نتحدث مع الرب حديثًا غير لائق، كحديث اللص الشمال، يتلخص كله حول النجاة من آلام الصليب وراحة الجسد. وهكذا تتحوَّل طلباتنا طول القداس من أجل الطعام والعمل والامتحانات، مع إننا نعلم أن الله يُعطي هذه للأمم. ينبغي أن نتذكَّر دائمًا أن القداس الإلهي هو صعودٌ إلى فوق لا نزول إلى الأرضيات.

٤ – ولكن علينا أن نصعد مع اللص اليمين الذي طلب الأمور السماوية. هذا اللص هو الذي انتفع من ذبيحة الصليب، فقدَّم توبة حقيقية، راجيًا من الله أن يذكره في ملكوته. إن رحلة

الصعود في القداس الإلهي ينبغي أن تكون على هذا المستوى: توبة، مع طلب السمائيات.

٥ – وعلينا أن نذكر المجدلية، فنقف معها تحت أقدام الصليب، حيث الدم يجري، ونذوق حلاوة التطهير وقوة الخلاص بالدم، ونذوب حبًّا في الحبيب المُعلَّق على الصليب، الذي حرَّرني من ماضيَّ المُلوَّث بالدنس. إن حضورنا القداس، هو من أجل التطهير بالدم من أدناس خطايانا.

٦ – وفي أعلى درجات صعودنا نأخذ بركة العذراء مريم، ونقف معها بجوار الصليب، نعيش معها وهي فَرِحة من أجل خلاص العالم، ومتألمة بسبب آلام ابنها. إن أعمق عبادة هي: اختيار الآلام مع يسوع من أجل الخطاة، ثم الفرح غير المحدود من أجل الخلاص الذي يُقدِّمه الله للعالم في ذبيحة القداس.

٧ – ولنحذر من طياشة أفكارنا وتصرُّفاتنا غير اللائقة التي نصنعها بجهلٍ وقت القداس.

٨ – وفي آخر مراحل صعودنا، نرتفع مع الرب على الصليب حتي نُعطي ظهرنا للعالم. لقد طرد العالمُ يسوعَ ثم صلبه. لقد كان يسوع قلب العالم النابض، ومن جهل العالم أنه طعن قلبه (أي قلب العالم) فحَكَمَ العالم على ذاته بالموت. لقد أصبح الصليب أعلى درجات الصعود مع المسيح، ومن هنا نبدأ رحلة نزولنا إلى العالم، وخدمتنا للعالم. فالعالم لا يُخدم من وسط العالم، ولكن من على الصليب، أي من ذبيحة القداس الإلهي.

الذي ارتفع مع المسيح على الصليب، لا بد وأن يكون قد ذاق قوة الموت عن العالم وقوة القيامة ثم قوة الصعود إلى السماء. وبهذه القُوَى الغالبة ننزل إلى العالم لنخدمه، ثم نرتفع بأولاده معنا مرة أخرى إلى فوق.

رحلة النزول إلى العالم:

١ – الصليب هو أعلى درجات الصعود، وأعلى درجات الموت. ومن عند الصليب نبدأ رحلة نزولنا، مائتين بذواتنا، ولكن يسوع الذي أخذناه حيٌّ فينا، نواجه العالم برائحة موتنا، وبرائحة المسيح الذكية فينا. ومن عند الصليب ننزل لنواجه العالم بفقر ذواتنا و بغنانا العظيم بالمسيح الذي فينا.

٢ – ننزل ونحن متأكِّدين أن سرَّ القداس الذي أخذناه لا يمكن للعالم أن يفهمه، ولكنه لابد أن يحسَّ ببركاته فينا. فننزل ونحذر ألا يُغرينا العالم بشيء ، بل نحسُّ أن العالم محروم من كل ما عندنا. لذلك نحترس لئلا يُسلب منا.

٣ – ننزل في معيَّة يسوع، ونحن هياكل للروح القدس، ننزل كجيش بألوية (نش ٦: ١٠)، إنه

جيش القديسين تحت قيادة الرب يسوع. إننا لا نعرف الهزيمة، لأن يسوع الذي أخذناه خرج غالبًا ولكي يغلب بواسطتنا (رؤ ٦: ٢). نخرج للعالم بقوة طهارة يسوع، وندوس بأقدامنا كل شهوات قلبنا، ونستأسر كل فكر لطاعة ومحبة المسيح.

٤ – ننزل للعالم بقلب يسوع، نحب العالم لا بقانون العين بالعين، الذي هو في مستوى بشريتنا، بل نحب بمستوى شركتنا للطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤)، ولكن لا نُقيِّد محبتنا بطبيعة مَن نحب.

٥ – ننزل للعالم بوداعة يسوع، ليس بقدرة بشريتنا على الاحتمال، بل بقدرة يسوع على احتمال آلام العالم كله، كما احتمل الشهداء ولُبَّاس الصليب ما لا يحتمله إنسانٌ بشرى في وداعة المسيح.

٦ – ننزل للحزانى ونُعزِّفهم أننا نلنا سرَّ الفرح العظيم، ونُعطيهم مِمَّا أخذناه، ونُجاوب كل مَن يسألنا عن سرَّ الفرح والرجاء اللذين فينا.

٧ – نحن لا نحلُّ مشاكل الناس، وليس لنا في ذواتنا شيء، بل بالعكس نحن نبدأ إرساليتنا من موت ذواتنا، ونُقدِّم يسوع للعالم، يسوع المريح، يسوع حامل الخطية، يسوع الوديع، يسوع المُحب للأعداء، يسوع الذي يُقيم الميت، ويُشدِّد الأعرج، يسوع مُشبع نفس سامرية هذا العالم وسط حر النهار.

٨ – نحن مسؤولون عن العالم، رغم أن العالم يُرهقنا جدًا، نحن ننزل إلى العالم، كنزول حمامة نوح، ونعود سريعًا إلى الفُلْك أي الكنيسة.

٩ – نحن ننزل للعالم بيسوع، ونعود سريعًا لنصعد إلى مذبح الرب لكي نتزوَّد بمؤونة حياتنا في العالم، لنا وللعالم، ونصعد لنُتمِّم اتصالاتنا بالوطن السماوي، ونُشبع أشواقنا نحوه. ومن عند الصليب نعكس اتجاهنا، وننزل إلى العالم مرة أخرى.

ويستمر يسوع يصعد وينزل بنا طول غربتنا في العالم. وفي النهاية تصبح جملة مرات صعودنا إلى مذبح الرب، هي القوة التي تصعد بنا إلى الأبدية السعيدة، آمين.

عظة ٨

موسم الصوم المقدَّس

للقديس يوحنا ذهبي الفم[١]

فلنفرح بالصوم:

١ - إنني مسرورٌ ومبتهجٌ أن أرى كنيسة الله مزيَّنةً اليوم بهذا الحشد من أبنائها، وأن أراكم جميعًا آتين معًا بفرحٍ عظيمٍ. أقصد بذلك أنني عندما أنظر إلى وجوهكم المُنيرة، أعتبر ذلك كعلامة لا تخيب على الرضا الذي تشعرون به في قلوبكم، كما يقول الحكيم: «عندما يفرح القلب يكون المظهر مُبتهجًا» (أم ١٥: ١٣سبعينية). وهكذا بالطبع نهضتُ أنا نفسي هذا الصباح بحماسٍ أكثر من العادة، حيث إن عليَّ أن أُشارككم هذه السعادة الروحية، كما أردتُ أن أصبح مُبشِّرًا لكم باقتراب الصوم الكبير الذي يمكنني القول إنه هو العلاج لنفوسكم. ها أنتم ترون أن سيدنا كلنا كأبٍ محبوبٍ أراد لنا علاجًا بواسطة الصوم المقدَّس برغبته أن نتنقَّى من الخطايا التي ارتكبناها بمرور الزمن.

إذن، فلا يكن أحدٌ مكتئبًا أو متضجرًا، بل فليتهلل ويكون فَرِحًا ويُمجِّد راعي نفوسنا الذي يُظهِر لنا الطريقة الأفضل، وليرحِّب باقتراب الصوم الكبير بفرحٍ عظيم. ولنرحب باقترابه بمثل تلك الحميَّة، دعوا الوثنيين يدلِّلون على أعيادهم واحتفالاتهم بالسُّكر وكل أنواع السلوك والمُخزيات التي يحلِّلونها لأنفسهم، والتي تُناسبهم لكي يتمرَّغوا فيها. أما كنيسة الله فلتُميِّز أعيادها بالصوم، وتتغاضى عن الشهية للأكل وجميع القُوَى المُصاحبة لها. فهذا، في الحقيقة هو العيد الحقيقي، حيث يوجد خلاصٌ للنفوس، وحيث يوجد سلامٌ وانسجامٌ، وحيث توضع مصاعب الحياة اليومية جانبًا، وتخلو من ضوضاء وطنين ومجون أنواع المطبوخات الفاخرة ونحر الذبائح، وتكون الحياة اليومية في راحةٍ داخليةٍ وهدوءٍ كلِّيٍّ، محبة وفرح وسلام ولُطف وألوف من الصالحات الأخرى عِوَضًا عن ذلك السلوك الآخر.

(1) The Fathers of the Church, Vol. 74, p. 20.

٢ - لذلك، هلمُّوا الآن أرجوكم، ولنناقش تلك الأمور، يا أعزائي، ودعوني أحثكم أولًا أن تقبلوا كلامنا بغيرةٍ عظيمةٍ حتى تربحوا شيئًا له وزنه قبل أن تعودوا إلى بيوتكم. إنه ليس عبثًا وبلا هدف كان مجيئنا إلى هنا، فقد جئتُ أنا بهدف أن أنطق بشيءٍ نافعٍ وموافقٍ لخلاصكم، وأنتم جئتم لكي تنتفعوا مما يُقال، ومِن ثَمَّ تعودون بربحٍ أكثر إلى بيوتكم. إن الكنيسة، كما ترون، هي كصيدلية للروح، والذين يأتون إلى هنا عليهم أن يكتسبوا بعض العلاجات المناسبة لهم، والتي يلتمسونها لأجل أمراضهم فيتغلَّبون عليها.

٣ - إن الطوباوي بولس الرسول يؤيِّد ذلك بقوله إن مجرد الاستماع بدون استجابة ليس له قيمة قائلًا: «لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللهِ، بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ» (رو ٢: ١٣). كما أن المسيح في بشارته يقول: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٧: ٢١). وبناءً على ذلك، يا أحبَّائي، فطالما أننا نعلم أنه لا فائدة لنا من الإصغاء إن لم يكمل ذلك بما يتبعه من أعمالٍ صالحةٍ، فلنكن لا سامعين فقط، بل عاملين حتى تكون الأعمال التي تتبع الكلام باعثةً لنا على الاطمئنان.

٤ - لذلك اكشفوا أعماق أذهانكم لكي تتقبَّلوا هذه العظة عن الصوم، ولكي تُقارنوا بين عروسٍ بسيطة وأخرى رزينة: فإن الذين مهمتهم تقديم العروس إلى خدر العُرْس، يُزيِّنون الخدر بالستائر ويُنظِّفون البيت كله، غير معطين أي مدخل لخادماتٍ غير مهندمات، وحينئذٍ فقط يُقدِّمون العروس إلى خدرها. إنني أحب لكم أن تتبعوا هذا المثال، مُطهِّرين أفكاركم، مودِّعين التساهُل والتطرُّف إلى الأبد. وحينئذٍ ترحِّبون بأعماق قلوبكم المفتوحة بأُمِّ كلِّ صلاح، سيدة الرصانة، وكل فضيلةٍ أخرى، أقصد الصوم، لكي تفرحوا بمسرَّةٍ أعظم، ولكي تزوِّدكم تلك الأُمّ بشفائها الخصوصي. وبمعنى آخر، عندما يعزم الأطباء على وصف العلاجات للمرضى المتطلِّعين إلى التخلُّص من العفونة أو السوائل الضارة، فإنهم يوجِّهونهم إلى التوقُّف عن الطعام الجسدي لئلَّا يكون عائقًا عن فاعلية الدواء بدلًا من أن يكون له مفعولٌ بإظهار قوة خصائصه الحقيقية. هكذا يجب علينا أن نكون أكثر من ذلك عند تقبُّلنا لهذا الدواء الروحاني، أي الانتفاع من الصوم، فنُطهِّر أفكارنا ونجعل أذهاننا يقظةً لئلَّا تتبلَّد من الشُّرب، وتجعل ما هو نافعٌ لنا في ممارسة الصوم بلا نفع أو فائدة.

٥ - إنني أعلم بالطبع أن ما سأقوله اليوم سيُثير الكثير منكم باعتباره جديدًا عليكم، لذلك أرجوكم ألَّا نصيِّر أنفسنا عبيدًا للعادة بعدم اكتراثنا، بل فلنُخضع تلك الأمور مُحرِّكين عواطفنا في اتجاه مسيرة العقل. وهل تنتفعون شيئًا من الشَّره اليومي في الأكل والانغماس الزائد فيه؟ إنه أبعد ما يكون عن المنفعة، فكل ما تحصلون عليه منه هو الضرر والتلف الذي لا يُطاق. إنكم ترون أنه عندما يصير العقل متبلِّدًا من الشُّرب المُفرط، فإن المنفعة التي تُكتَسب من الصوم تزول في الحال دون أن تترك أثرًا. إن الكتاب يقول: «... وَلَا سِكِّيرُونَ وَلَا شَتَّامُونَ وَلَا خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (١كو ٦: ١٠). إذن، فماذا يمكن أن يكون أردأ من ورطة أولئك الذين هم مرفوضون من الملكوت بسبب إشباع شهوة عابرة ومُضرَّة؟!

٦- الله لا يسمح أن يكون أحدٌ منكم أنتم المجتمعون هنا مغلوبًا من ذلك الضعف، بل لعلَّكم، بدلًا من ذلك، تزيِّنون كل يوم باتزان وضبطٍ للنفس، وتكونون أحرارًا من الزوابع والعواصف التي يُسبِّبها الانغماس في الشهوات؛ وهكذا تصلون إلى ميناء السلامة لنفوسكم، أقصد الصوم، لكي تكونوا في وضع يُمكِّنكم من الانتفاع بفوائد الصوم المُضاعفة. إنني أقصد كما أن الانغماس في الشهوات يثبت أنه هو السبب والمُشجِّع على شرورٍ لا تُحصى للجنس البشري، هكذا، بنفس الطريقة، قد أثبت الصوم والتغاضي عن شهية النفس وميولها أنه يؤدِّي إلى منافع لا تُحصى لنا.

إنكم تذكرون أن الله عند خلقته للبشر في البدء، عَلِمَ باحتياجهم بصفةٍ خاصة إلى هذا العلاج لأجل خلاص نفوسهم، ولذلك فقد أوصى خليقته البشرية منذ البداية قائلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا» (تك ٢: ١٦و١٧). وهذا النص الخاص بالأكل وعدم الأكل يشير بطريقةٍ رمزية إلى الصوم، فرغم أن الإنسان كان مُجبرًا على حفظ تلك الوصية، فهو لم يُنفِّذها إذ تغلَّب عليه الانحراف وارتكاب المعصية، وجلب على نفسه حُكْم الموت. إنَّ الشيطان، كما تذكرون، كروحٍ شريرٍ وعدوٍّ لجنسنا، عندما رأى الإنسان الأول يعيش في الجنة، وكيف أن حياته كانت خالية من الهموم، وكيف عاش على الأرض في هيئةٍ جسدية ولكن مثل ملاك؛ أراد أن يُعثره ويزحزحه من مكانه، بأن يعشِّمه بمواعيد أعظم؛ وهكذا خدعه بامتلاك ما كان لديه. هذا هو مقدار الشر الذي يكمُن في عدم حفظ حدودٍ لائقة لأنفسنا والطموح إلى العظائم. لقد أوضح أحد الحكماء ذلك في قوله: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الإِنْسَانَ خَالِدًا، وَصَنَعَهُ عَلَى صُورَةِ ذَاتِهِ، لكِنْ بِحَسَدِ إِبْلِيسَ دَخَلَ الْمَوْتُ إِلَى الْعَالَمِ»

(حك ٢: ٢٣و٢٤).

أَتَرَوْن، يا أحبَّائي، كيف أنه من البدء وجد الموت مدخلًا إلينا بسبب انحرافنا؟ لاحظوا أيضًا أن الكتاب المقدَّس بعد ذلك يدين الانغماس في الشهوات قائلًا: «جَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ» (خر ٣٢: ٦؛ ١كو ١٠: ٧)، وأيضًا: «فَسَمِنَ يَشُورُونَ (يعقوب حسب السبعينية) وَرَفَسَ. سَمِنْتَ وَغَلُظْتَ وَاكْتَسَيْتَ شَحْمًا! فَرَفَضَ الإِلهَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَغَبِيَ عَنْ صَخْرَةِ خَلاَصِهِ» (تث ٣٢: ١٥). وأهل سدوم أيضًا جلبوا لأنفسهم ذلك الغضب الذي لا يخمد من تلك الخطية وحدها دون ذكر خطاياهم الأخرى. استمعوا لكلام النبي: «هذَا كَانَ إِثْمَ أُخْتِكِ سَدُومَ: الْكِبْرِيَاءُ وَالشَّبَعُ مِنَ الْخُبْزِ ... وَلَمْ تُشَدِّدْ يَدَ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ» (حز ١٦: ٤٩)، وباختصار، فإن النهم والشبع هما كينبوع مستمر لكل شرّ.

٧- ومن الناحية الأخرى، انظروا إلى أمثلة السلوك الصالح الناتج عن الصوم: فإن النبي موسى العظيم، بعد صومه لمدة أربعين يومًا (خر٢٤: ١٨؛ ٢١: ١٨)، أمكنه أن يحصل على لوحَي الشريعة، ولما نزل من الجبل ورأى خطية الشعب، ألقى باللوحين اللذين حصل عليهما بنجاحه في مثل هذا التشفُّع وهشَّمهما (خر ٣٢: ١٩)، إذ اعتبر أنه من غير المعقول أن يحصل هذا الشعب اللاهي والخاطئ على ناموس من وضع الرب نفسه. وعلى ذلك، فإن ذاك النبي الشهير كان عليه أن يأخذ على عاتقه صومًا أربعين يومًا أخرى، لكي يمكنه أن يأخذ لوحين آخرين مثل اللذين كسرهما بسبب خطية الشعب (خر ٣٤: ٢٨).

وإيليا النبي أيضًا صام فترةً مماثلةً (١مل ١٩: ٨)، إذ أفلت من سلطان الموت وصعد إلى السماء بمركبةٍ نارية، وحتى هذا اليوم لم يذُق الموت. هكذا أيضًا دانيال النبي، رغم أنه كان سريع الانفعال، فقد قضى عدة أيام صائمًا، - فنال كمكافأة له - رؤيةً رهيبةً حتى إنه ذلَّل هياج الأسود وحوَّلها إلى حملانٍ وديعة، ليس بتغيير طبيعتها، بل بتحويل غرضها دون أن تفقد وحشيتها! وقد استعمل أهل نينوى هذا العلاج أيضًا، فربحوا من الرب مهلةً، إذ تأكَّدوا من أن الحيوانات ينبغي أن تُطَبِّق العلاج مثل البشر؛ وهكذا منعوا كلًّا منها من ممارسة الشر، وهكذا ربحوا حظوةً من ربِّ الكل (انظر: يون ٣). ويمكننا أن نذكر عدة أمثلة أخرى مشهورةً في كِلَا العهدين القديم والجديد. ولكن لماذا نشير إلى الخدام عندما ينبغي أن نأتي إلى ربنا جميعًا؟ إنكم تعلمون أن ربنا يسوع المسيح ذاته قد صام أربعين يومًا، فأصبح معدًّا للصراع مع الشيطان،

معطيًا لنا مثالًا أنه ينبغي بواسطة الصوم أن نسلّح أنفسنا، وباكتساب القوة من ممارسة الصوم نقبض بإحكام على هذا العدو المرعب.

٨- وعندما ينظر أحد للأشياء بانتقاد، ويجعل ملكاته متنبِّهةً، فربما يسأل: لماذا رُؤيَ الرب صائمًا بنفس عدد الأيام مثل رعيته؟ ولماذا لم يتعدَّ هذا العدد؟ إن ذلك لم يحدث بدون أساس أو بدون غرض، بل حسب أغراض الرب الحكيمة ورأفته. ففي حالة أنه قد يبدو أنه ببساطةٍ جاء إلى الأرض بدون أن يتخذ جسدًا وصار إنسانًا في الظاهر فقط، فقد صام نفس عدد الأيام لكي يجعل لذلك أهمية، ودون إضافة أي أيام لكي يكبح جماح تنافُس الناس الذين يريدون أن يتصرفوا في ذلك بإفراط. إنكم ترون أنه إن كان هناك أولئك الذين يتهورون ويندفعون إلى الكلام بتلك الطريقة، وحتى إذا تصرف الرب كما فعل، فماذا كانوا يحاولون أن يقولوا لو لم يكن قد سلبهم من أي حجة؟ وهكذا فقد قاوم تجربة أن يصوم أيامًا أكثر من رعاياه، فعلَّمنا بذلك درسًا بأنه اتخذ لنفسه حالة بشرية، وأنه عاش غير منعزل عن حالنا البشري.

٩- وحيث إن ذلك أصبح الآن واضحًا لكم من مثال كل من الرب ورعاياه أن قيمة الصوم جديرةٌ بالاعتبار، وأن منفعةً عظيمةً تنشأ للنفس منه، فأرجوكم، يا أعزائي، إذ عرفتم فائدته، ألَّا تقاوموا قوته الخلاصية بعدم مُبالاتكم، ولا يهن عزمكم عند اقتراب الصوم، بل افرحوا وكونوا مسرورين كما يقول ق. بولس: «إِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا» (٢كو ٤: ١٦). فالصوم إنما هو غذاءٌ للنفس، وكما أن الغذاء الجسدي يُسمِّن الجسد، فإن الصوم يقوِّي النفس بشرط أن تكون له أجنحة خفيفة الحركة لكي ترفعه عاليًا وتُمكِّنه من أن يتأمل في الأمور السامية، وتجعله متفوقًا على مسرَّات وجاذبية الحياة الحاضرة. وكما أن أخف السفن تعبُر البحار بسرعةٍ أكثر، في حين أن السفن المثقَّلة بحمولةٍ كبيرة يحل فيها الماء، هكذا أيضًا يتخلَّى الصوم عن قدرة العقل الخفيفة، ويُمكِّنه من أن يتغلَّب بحذقٍ على مصاعب الحياة ويطير إلى السماء والسماويات مزدريًا بأمور هذه الحياة باعتبارها أسرع زوالًا من الظلال والأحلام. ومن الناحية الأخرى، فإن التساهُل والإفراط في الجسديات يُثقِّلان عقولنا، ويسمِّنان الجسد ويقيِّدان الروح ويطوقانها من كل جانب، ويجرِّدان حُكْم العقل من أي شيء يُعتمَد عليه، ويستميلان العقل إلى اتِّباع سُبُلٍ خطرةٍ، وهكذا يعملان بكل طريقةٍ ضد خلاصنا.

١٠- دعونا، يا أعزائي الأحبَّاء، ألَّا نكون مهملين في التعامل مع أمور تخص خلاصنا، بل نتعرَّف

على المُزعجات التي يمكن أن تنشأ من ذلك المصدر الشرير، دعونا نتجنَّب الأذى الذي ينتج منه. فضلًا عن كوننا قد حُذِّرنا من الإسراف (أو الإفراط) ليس فقط في التدبير الجديد بما له من الانتباه لفكرٍ صائب، وصراعاته المتكررة وجهده الشديد، ومكافآته العديدة وتعزياته التي تفوق الوصف. ولم يُسمح حتى للناس الذين يعيشون تحت الناموس القديم أن يُطلِقوا العنان لأنفسهم بتلك الطريقة، حتى رغم أنهم كانوا جالسين في الظلمة، معتمدين على أضواءٍ ضعيفة، وتقدَّموا تدريجيًا إلى النور، مثل أطفال يُفطمون من اللبن. ولئلَّا تظنُّوا أني عبثًا أجد خطأً في الإسراف (أو الإفراط) فيما أقول، فاستمعوا لما يقوله النبي: «ويلٌ للمضطجعين في الأيام الشريرة على أسرّةٍ من العاج والمُتمدِّدين على فُرُشهم والآكلين خرافًا من الغنم وعجولًا من وسط الصيرة، الهاذرون مع صوت الرباب، المخترعين لأنفسهم آلات الغناء كداود، الشاربين من كؤوس الخمر، والذين يدَّهنون بأفضل الأدهان، مثل أُناسٍ يُعاملون ذلك كمدينةٍ ثابتة، ولا يطلبون مَنْ هو آتٍ» (عا ٦: ٣-٦ سبعينية). أترون التهمة الثقيلة التي يُصوِّبها النبي على الإسراف (أو الإفراط) متهمًا اليهود بأخطاء الغباوة هذه والشهوانية والشَّره اليومي؟ أقصد أن تلاحظوا دقَّة الكلام، فبعد مهاجمة شرِّههم وشُريهم المُفرط، أضاف: «مثل أُناسٍ يعاملون ذلك كمدينةٍ باقية (ثابتة)، وغير طالبين مَنْ هو آتٍ»، وعلى الأكثر مقررين أن كفايتهم أدركت حتى الشفاه وسقف الحلق، ولم يتقدموا إلى ما هو أفضل. فإن المسرَّة قصيرة وعابرة، في حين أن الألم لا يكفُّ وليس له نهاية. إن حقيقة ذلك تنشأ من الخبرة، والمعنى الحقيقي من الحقائق الثابتة، هكذا يقول: "مثل أُناسٍ يعاملون ذلك كمدينةٍ باقية، وأشياء عابرة، وغير طالبين مَنْ هو آتٍ"، أي أنها ليست باقية لحظةً واحدة.

١١- جميع الأمور البشرية والمادية هي من هذا النوع من المسرَّات، والمجد والسلطة البشريتين، مثل الثروة وكل ازدهار للحياة الحاضرة، فإن تلك الأمور ليس لها شيء ثابت بخصوصها ولا شيء راسخ، ولكنها متغيرة أسرع من تيارات النهر، تاركةً أولئك الذين انجرفوا فيها عرايا ومهجورين. ومن الناحية الأخرى، فإن الروحيات ليست هكذا؛ بل بالعكس تمامًا، وفي الحقيقة إنها ثابتة وغير متحركة وغير خاضعةٍ للتغيير، وهي باقية إلى الأبد. فأيُّ حماقةٍ، إذن، تكون في استبدال ما هو غير مُتحرِّك بما هو مقلقل (أو غير مستقر)، الدائم بما هو عابر، الثابت بما هو سريع الزوال، ما يَعِد بمنح الفرح في الأبدية بما يُقدِّم لنا عقابًا مُريعًا هناك؟

(البقية صفحة ٣٥)

من
التراث الكنسي

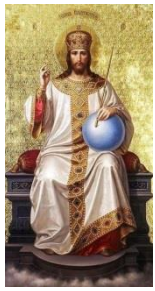

معرفة الله
كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة[١]
(١)

❖✚❖

(١) هل الله مُدْرَكٌ مِن منظورٍ مسيحي أرثوذكسي؟

يكتب الرَّسول يوحنا ويقول: **«وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ»** (يو ١٧: ٣).

البَرَكة والنِّعمة العُليا للنَّفس البشريَّة هي أنَّها تستطيع أنْ تعرف الله، ولكن المأساة الصَّارخة والعُظمى في أنَّه يوجد كثيرٌ مِن النَّاس لا يريدون أنْ يَعرفوا الله. مَعرفة الله ليست هي مجرَّد نوع آخَر مِن المعرفة، لأنَّها تُشكِّل موضوعًا أخطر: الحياة أو الموت، السَّماء أو الجحيم. أنْ تعرف الله، فهذا أسمى أشكال المعرفة.

يقول فرانسيس باكون Francis Bacon:

"المعرفة قوَّة".

مَعرفة الله هي شيءٌ أكثر مِن قوَّة، إنَّها حياةٌ أبديَّة. مَعرفة الله هي: **«مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ»** (غل ٥: ٢٢، ٢٣).

يقول القدِّيس سلوان St. Silouan:

"أثمن ما في الحياة هو أنْ تعرف الله، حتى ولو كان بغير وضوح، معرفة خافتة".

التَّعليم المسيحي The Catechism يُخبرنا أنَّنا لم نولَد لشيء آخَر غير هذا، فنحن لا

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. *Coniaris, Knowing God Life's Highest Purpose & Joy*.

نحيا لهدفٍ آخَر أكثر مِن أنْ نَعرف، وأنْ نُحِبَّ، وأنْ نمجِّد، وأنْ نخدم الله على الأرض، لنفرح ونتمتَّع به في السَّماء، وإلى الأبد.

يقول القدِّيس أنطونيوس St. Anthony:

[أكثر الخسائر خطورة، وأعظم مصيبة ومأساة للإنسان، هي ألَّا يعرف الله].

(٢) أسمى المعارف:

يُؤكِّد بعض النَّاس على أنَّ الرياضيَّات هي أعلى أشكال المعرفة، ولكن ليس هذا؛ كما أنَّه أيضًا ليس اللاهوت، لأنَّ اللاهوت يتكلَّم عن الله؛ ولكن أعظم أشكال المعرفة هو لا أنْ تعرف عن الله، بل أنْ تعرف الله شخصيًّا. مِثل هذه المعرفة هي علاقة حميميَّة، شخصيَّة، ومبنيَّة على المحبَّة كما سوف نرى. إنْ لم نكن نعرف الله شخصيًّا، فنحن لا نحيا بالحقيقة، وليست لنا حياة واقعيَّة. أنْ تعرف الله معناه أنْ يكون لك سلام، أنْ تُحَقِّق الهدف. أنْ تعرف الله هو أنْ تُنجز وتُحرز الغرض الذي لأجله خُلِقتَ. الحياة الفعليَّة تتضمَّن معرفة الله الحقيقيَّة.

لقد عرَّف المُخلِّص الحياة الأبديَّة بقوله: **«أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ»** (يو ١٧: ٣)، وهو نَفْس ما قاله سليمان الحكيم: **«أن يعرفوا قوَّتك، فهذا هو أصل عدم الموت (الحياة الدَّائمة)»** (حكمة ١٥: ٣). ما هي المعرفة الأعظم، والأسمى، والأكثر صفاءً التي يمكن أنْ تكون أكثر مِن معرفة الله؟ ربَّما يكون لدينا كلُّ المعرفة في العالَم، ولكن لو لم نعرف الله في المسيح، فسوف لا نجد أبدًا الحياة ولا الفرح ولا السَّلام ولا الحُب.

أكَّد القدِّيس سلوان St. Silouan هذا عندما قال:

"لقد ربط النَّاس أرواحهم بأشياء هذه الأرض وفقدوا محبَّة الله، وبالتَّالي لا يوجد سلامٌ على الأرض. يوجد الكثير مِن الذين يقضون كلَّ حياتهم في محاولة المعرفة؛ وكمثال لذلك، كيف تشكَّلت الشَّمس؟ لكنَّهم ليسوا شغوفين بمعرفة الله. لكن لم يُكلِّمنا الرَّب عن الشمس، كلَّمنا عن الآب وملكوت السموات. قال إنَّ الأبرار في ملكوت الآب سوف يضيئون كالشَّمس. ويُعلِن الكتاب المقدَّس أنَّه في الفردوس سيكون الربُّ النُّورَ

هناك، ونور الرب سيكون في أرواح وفي عقول وأجساد القدِّيسين"[٢].

(٣) ما هو الهدف الذي خُلقنا لأجله؟

ما هي الغاية التي خُلقنا لأجلها؟ خُلقنا لنعرف الله. ما هو الهدف الذي يجب علينا أنْ نضعه لأنفسنا في الحياة؟ أنْ نعرف الله. ما هو مَصدر الحياة الأبديَّة؟ أنْ نعرف الله في المسيح (يو ١٧: ٣). ما هو أفضل شيء في الحياة، الذي يجلب فرحًا أكثر، وسعادة أكثر، ورضًا أكثر مِن أيِّ شيءٍ آخَر؟ أنْ نعرف الله (إر ٩: ٢٣). وفي أيِّ مِن كلِّ الحالات التي يرانا الله فيها، فإنَّه يمنحنا أكبر قَدر مِن السَّعادة؟ معرفته هو بنفسه: **«إِنِّي أُرِيدُ ... وَمَعْرِفَةَ اللهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ»** (هو ٦: ٦).

لم يُعبِّر إلاَّ القليل مِن النَّاس عن تفوُّق معرفة الله بأكثر قوَّة عن القدِّيس بولس الرَّسول عندما كتب: **«بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ ... لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ»** (في ٣: ٧-١٠).

كتب الكاتب الرُّوحي رالف إس كوشمان Ralph S.Cushman يقول:

"مِن كل الجوائز،
التي يمكن للأرض أنْ تعطيها،
فهذا أفضلها؛
أنْ أجدك يا رب.
وأنْ يكون لي وجودٌ حيٌّ قريبٌ منك،
وأنْ أجد فيك الرَّاحة".

(٤) ما الذي يقوله آباء الكنيسة عن معرفة الله؟

سيطرت على الكنيسة الأولى الرَّغبة أنْ تعرف الله، فقد أوضح آباء الكنيسة أنَّ كلَّ شيء قد خُلق لأجل معرفة الله، بالنِّسبة لهم فإنَّ تمام المعرفة يكون في إدراك سرِّ الحياة الدَّاخليَّة للثَّالوث (theologia) (theology)، وبحسب أوريجانوس Origen فإنَّ الهدف

(2) *Saint Silouan the Athonite* by Sophrony. SVS Prss. Crestwood, NY. 1991.

منه يكون: "**معرفة الآب، والابن، والرُّوح القدس**". يسوع هو الباب إلى الآب، ومفتاح الباب هو الرُّوح القدس.

كتب القدِّيس أثناسيوس St. Athanasius يقول:

[إنَّ الله خلق كلَّ الأشياء وقال إنَّها جيِّدة].

ومع ذلك، فمِن كلِّ الأشياء التي خلقها الله، فإنَّ البشريَّة كانت "جيِّدة جدًّا"بشكلٍ خاص، لأنَّها خُلقت على صورة الله الخاصَّة وأُعْطِيَت نعمة المعقوليَّة (العقل)، والذي مِن خلاله يستطيعون أنْ يعرفوا الله وأنْ ينظروه في العالم المُحيط بهم، وهكذا يأتون ليعرفوه ويحبوه. إنْ كنَّا نحن صورة الله، فالله يكون الأصل Archetype، ونحن انعكاس reflection لهذا الأصل. لهذا، وحتى نعرف مَن نحن، يجب علينا أولًا أنْ نأتي إلى معرفة الأصل Archetype، النَّموذج الأوَّل Prototype الذي على صورته قد خُلقنا. إنْ لم نعرف الله (الأصل Archetype) الذي على صورته خُلقنا، لن نستطيع أبدًا أنْ نعرف مَن نحن كظلال لهذا الأصل. يجب أنْ تجد الصُّورة حقيقتها، الذات الحقيقيَّة في الأصل الذي هو الكلمة المُتجسِّد، يسوع المسيح.

كتب أبراهام يوشيا هيشل Abraham Joshua Heschel يقول:

"العلامة المميِّزة symbol **للإنسان ليست معبدًا أو شجرة، ليست تمثالًا أو نجمًا (بل الله). العلامة المميِّزة لله هو الإنسان، كل إنسان. الله خَلَق الإنسان على صورته، على مثاله".**

وصف الأب نيكولاس كاباسيلاس Nicholas Cabasilas الأدوات التي وهبنا الله إيَّاها ليُمكننا مِن خلالها الوصول إلى معرفته فقال:

"نحن مُنحنا المنطقيَّة والمعقولانيَّة التي بها نعرف المسيح، الرَّغبة في أنْ نتقدَّم نحوه، والذَّاكرة التي مِن خلالها نحمله في داخلنا. فالمسيح هو موضع راحة البشريَّة ورغباتها واشتياقاتها، هو الطَّعام لأفكارنا؛ لذلك فأنْ نحبَّ أيَّ شيء بجانبه أو نُفكِّر في أيِّ شيء أقلَّ مِنه، فهذا انحرافٌ واضح عن الواجب وابتعادٌ عن المبادئ الأولى لطبيعتنا".

(يتبع)

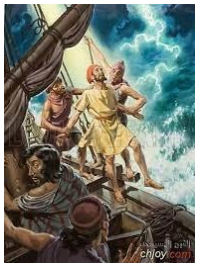

ادخل
إلى
العمق

– ٣٠ –

أيقونة موت المسيح وقيامته
في سفر يونان النبي

❋✚❋

حينما طلب اليهود من الرب يسوع آيةً وبرهانًا على نُبوَّته، أُسوةً بما صنعه موسى النبي الذي أعطاهم المَنَّ من السماء. لم يُعطِهم السيِّد آيةً جديدة؛ بل حوَّل أنظارهم إلى آية يونان النبي. فذكَّرهم الربُّ بآية موت يونان ودخوله بطن الحوت، ثم خروجه حيًّا وكارزًا بعد ثلاثة أيام، كآيةٍ وإشارةٍ ونبوَّةٍ عن عمله الفدائي بالموت والدفن في القبر، ثم القيامة في اليوم الثالث لخلاصهم – الذي كان مُزمعًا أن يُتمِّمه لهم وللعالم – لعلَّهم يُدركون عظمة المتكلِّم.

فيونان كان مثالًا حيًّا لسرِّ المسيح المُقدَّم لليهود وللعالم كله، ولكنه لم يكنْ مثالًا كاملًا للمسيح في كل تصرفاته ومواصفاته؛ مثله مثل موسى النبي الذي كان ثقيل اللسان، وهارون الذي أخطأ بصناعة العجل الذهبي، ويونان نفسه الذي حاول الهرب من تكليف الرب له بالمُنادة لأهل نينوى، ولكنه كَرَزَ وتمَّم لنا آيته عن السيد المسيح بمثال موته، وذلك بالدخول في بطن الحوت ونزوله إلى الأعماق، ثم بقيامته حيًّا بالخروج من بطن الحوت حيًّا بعد ثلاثة أيام كمثال لسيِّده المخلِّص. فقد أظهر لنا بحياته – رغم ضعفه – صورًا سرِّية رائعة عن حياة مخلِّصه، إذ وَضَعَ نفسه للموت من أجل نجاة السفينة ورُكَّابها حين قال للنواتيَّة: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ ...» (يون ١: ١٢)، كما قيل عن الرب يسوع إنه «... يَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مت ٢٠: ٢٨). وإن كان يونان قد أظهر حزنًا على ظهور رحمة الله على أهل نينوي، فذلك يرجع ليس إلى حزنه على توبتهم ورجوعهم، ولا إلى حزنه على رحمة الله عليهم، بل إلى خوفه من أن يظنَّ أهل نينوى أنه كان كاذبًا ومبتذلًا وسبَّب انزعاجًا لهم، وأنَّ ما قاله لهم هو من عنديَّاته، وليس حسب المكتوب من **"فم الرب"** (إر ٢٣: ١٦). لذلك فقد بادر إلى الهروب والتخلِّي عن هذه الإرسالية الصعبة، لأنه كان متأكِّدًا من مراحم الرب، حسب ما قال هو بالروح عن الله

مُرسلِه أنه: «إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ» (يون ٤: ٢).

من هو يونان بن أمِتَّاي؟

هو نبيٌّ من بلدة (جَتّ حافر)، وقد قدَّم نبوَّته هذه قبل الأنبياء هوشع وعاموس وميخا وبقية الأنبياء الصغار. وتنبأ يونان أيضًا عن شعب إسرائيل بحسب ما كُتِبَ عنه: «هُوَ (يربعام) رَدَّ تُخْمَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ ... حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبْدِهِ يُونَانَ بْنِ أَمَتَّايَ النَّبِيِّ الَّذِي مِنْ جَتَّ حَافِرَ» (٢مل ١٤: ٢٥- ٢٧).

رحلة الآيات والرموز وروعة التحقيق:

أولًا: الهروب وأحداث السفينة:

أراد يونان النبي أن يهرب من دعوة الرب له للكرازة لأهل نينوى، فركب السفينة الذاهبة إلى ترشيش ونام فيها نومًا عميقًا كشبه ميت، هربًا وخجلًا من مشاعر الحزن وتأنيب الضمير لمُخالفته دعوة الله له، ولم ينتبه إلَّا على صيحات النواتيَّة حينما أيقَظوه ليبحث معهم عن سبب أو وسيلة للنجاة من هياج البحر عليهم. بينما نرى أن الرب يسوع حينما كان نائمًا في السفينة، فقد كان يترقَّب رؤية إيمان تلاميذه به، منتظرًا طلبهم منه أن يُنجِّيهم ويُظهِر قوَّته ومجده كإلهٍ للطبيعة، فيَهبهُم سلامه ويقوِّي إيمانهم، حتى إنهم سجدوا له واعترفوا بلاهوته.

كان هياج البحر وهدير أمواجه المُرعبة التي زأرت طلبًا ليونان حتى تبتلعه وتقضي بموته، هي بعينها أصوات وصراخ رؤساء الكهنة وصيحاتهم للمُطالبة بصلب يسوع وموته: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!»، وأيضًا قولهم: «... أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا» (يو ١١: ٥٠). فالبحر لم يرضَ بغير يونان بديلًا **لفداء السفينة وركَّابها** (الكنيسة). وأما يسوع فمن أجل طاعته وحبِّه قدَّم نفسه للموت **ليُنجِّي العالم كله** وليس السفينة فقط؛ وهكذا صار الموت ضرورة لوقف شرِّ الإنسان وغضب الطبيعة، وثمنًا لإطفاء نيران الشر والخطيئة التي زرعها إبليس في الإنسان وفي العالم، ومَعبَرًا حقيقيًّا نحو القيامة والحياة الجديدة.

حاول يونان أن يهرب من الكرازة لأهل نينوى، فصيَّره الله كارزًا للنواتيَّة الأُمميِّين، وحينما سألوه عن جنسه وشعبه، فقد كلَّمهم عن إلهه العظيم والمخوف وعن هروبه منه، فخاف

النواتيَّة الله وذبحوا ذبائح، وحاولوا إنقاذ يونان بكل الطرق، حتى إنهم ألقوا بحمولة السفينة في الماء، ولكن لم يهدأ البحر. وهذا أيضًا ما فعله بيلاطس البنطي مع يسوع، حينما سأله عن نفسه: «أَفَأَنْتَ إِذًا مَلِكٌ؟» (يو ١٨: ٣٧)، فقد أراد الرب أن يجعل بيلاطس نفسه يؤكِّد هذه الحقيقة، فارتَعدَ بيلاطس وخاف من يسوع جدًّا، وشهد أنه لا يجد فيه عِلَّةً للموت، وأراد أن يُطلِقه، وحينما فشل في ذلك بسبب هياج اليهود ومحبته لمجد العالم، حينئذٍ غسل يديه وقال لهم: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ!» (مت ٢٧: ٢٤)، ثم أسلمَه ليُصلَب. وفي كلتا الحالتين (مع يونان ومع المسيح) لم يقدر – لا النواتيَّة ولا بيلاطس – أن يمنعا وقوع الموت، لأن التدبير كان قائمًا أن يجوز يونان تجربة الموت والحياة كمثال الرب يسوع. وإن كان موت يونان وحياته قد أنقذا ركاب السفينة وأهل نينوى، فإن موت المسيح وقيامته قد حقَّقا لنا غاية هذا الرمز بفداء العالم كله ونَيْله الحياة الأبدية بقيامة الرب المجيدة بقوة لاهوته.

ثانيًا: الموت في الماء والصعود حيًّا (مثال موت المسيح وقيامته):

أعدَّ الرب حوتًا عظيمًا ليبتلع يونان، فصار الحوت ليونان رمزًا للقبر الجديد الذي وُضِع فيه مخلِّصنا. وفي كلتا الحالتين لم يقدرا – لا الحوت ولا القبر – أن يحويا الداخلين فيهما، بل خرجا كلاهما من الاثنين أحياء. ويرى القديس يعقوب السروجي في الحوت الذي ابتلع يونان معانٍ وإشارات رائعة: إذ يراه القديس مثالًا لبيتٍ فريدٍ لم تَقْرُبه الأمواج، ويرى في فم الحوت أنَّه كرَحِم العذراء البتول التي ولدت بغير زرعٍ بشريٍّ. كما يرى القديس في حَبْسِ يونان في الأعماق في بطن الحوت، مثالًا للسجن المُبهج دون أذى، وطريقًا كرَّسه المسيح بذاته. كما يرى القديس كذلك في بطن الحوت مثالًا للهيكل المقدَّس الكائن في أعماق البحر، الذي تُقدَّم فيه ذبائح الحمد والشكر، وسماءً ثانيةً ومخدعًا للعبادة.

كذلك يمكننا أيضًا إدراك أن خروج يونان من بطن الحوت ومن أعماق المياه حيًّا بعدما تضرَّع إلى إلهه، كان مثالًا ناطقًا للقيامة المجيدة التي أتمَّها الرب يسوع وأوهبنا إيَّاها، وصورة مُدهشة لعملية الولادة الجديدة من الماء والروح، التي نلناها من قِبَل المعمودية المقدَّسة بدفننا في مياه جُرْن المعمودية، كمثال دفننا وقبرنا مع المسيح، لكي نقوم معه في جدَّة الحياة، كما خرج يونان حيًّا، وكما قام المسيح من بين الأموات في اليوم الثالث، مُحطِّمًا أغلال الموت والقبر.

وكما كان يونان في حُكْم الميت جسديًّا بعدما نزل إلى المياه وابتلعه الحوت - الذي صار له قبرًا - بينما هو حيٌّ بداخله يرفع صلاة الحمد والشكر لله، ثم أخرجه الحوت إلى الحياة مرة أخرى؛ هكذا أيضًا الرب يسوع بعدما صُلب ومات وقُبر بالجسد كميت، كان حيًّا بلاهوته الذي به نزل إلى الجحيم وسبى سبيًّا، وكرز وحرَّر كل الذين سباهم إبليس وماتوا على الرجاء. ثم قام بالجسد مرة أخرى في اليوم الثالث – مثل يونان – بقوة لاهوته، ووهبنا الحياة بقيامته المجيدة.

ثالثًا: الكرازة لنينوى وتوبتها، وتوبتنا نحن:

رغمَ أنَّ رسالة يونان لأهل نينوى لم تحمِل سوى تهديد بانقلاب المدينة، دون أي وعود بالنجاة إن تابوا ورجعوا، وذلك على خلاف دعوة الرب يسوع حينما قال للجموع: «بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ» (لو ١٣: ٣)، ومع هذا فقد قَبِل أهل نينوى الدعوة بخشية ورِعدة وخوف وإيمان بالله، رغم كونها آتية من رجلٍ غريب عنهم لا يعرفونه، فقبلوا بدون تأخير تلبية نداء التوبة، وهَبُّوا لإصلاح أنفسهم، وتبعوا التعاليم الإلهية بالندم والتوبة عن شرورهم، لعل الله يرجع عن حُموِّ غضبه عليهم. فقاموا بكل حذقٍ وبصيرة روحية ليُتمِّموا توبتهم بكل اجتهاد، مترجِّين العفو والخلاص. فاستطاعوا أن يُغيِّروا قضاء الله من جهتهم، ونالوا الغفران والنجاة. وما أحوَجَنا اليوم نحن أيضًا، أن نحذو حَذْوَهم لننال بالتوبة صفحًا وغفرانًا وخلاصًا عظيمًا.

ويقول القديس كيرلس الكبير عن توبتهم:

[«بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى» بناءً على قول الرب له، فهو لم يكن كاذبًا، لأن هذا كان بالفعل قول الرب له؛ ولكن هناك أقوال أخرى قالها الرب أيضًا له لم يُبلِّغها إلى أهل نينوى. وكثير من الأنبياء يُعلنون طريقة رسالتهم، ولا ينقلون لنا أقوال الرب لهم، ولا أقوالهم هم للرب. فالجزء الأول هو ما أعلنه يونان لأهل نينوى، ولكن انظر إلى حديثه إلى الله حينما يقول: «آهِ يَا رَبُّ ... عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ» (يون ٤: ٢). وهذا الكلام قاله له الله أيضًا وأوضَحه للنبي، وكان هو يعرفه عن الله، ولكنه لم يُعلنه بالكامل لأهل نينوى][(١)].

(١) تفسير سفر يونان النبي للقديس كيرلس الكبير – مؤسسة القديس أنطونيوس. ترجمة د. جورج عوض (طبعة أولى)، ص ٣٦.

كما يقول القديس كيرلس أيضًا تعليقًا على عبارة: «نَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ»:

[هي بمعنى أنه سوف يغيِّر رأيه، لأنه لو رأى أنهم قد انتقلوا من الدناءة إلى الصلاح، فسوف ينتقل هو بحكمة إلى الهدوء ومحبته للبشر، لأنه بطبعه صالحٌ ومحبٌّ للبشر. فالرب يقول لإسرائيل على لسان حزقيال النبي: «قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لَا أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، **بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا. اِرْجِعُوا، ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمْ الرَّدِيئَةِ! فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟**» (حز ٣٣: ١١). وهذا ما صنعه أهل نينوى الذين رجعوا بالتوبة مترجِّين أن يذهب عنهم الغضب. مُشرِكين حتى البهائم في حزنهم. وهو أمرٌ يفوق العادة – ليس لأن الله طلب أن تتألم الحيوانات – بل ليُبرهِن لنا أنها كانت توبة تفوق الأمر العادي. فالكتاب يسجِّل لنا أن توبة نينوى كانت فوق الاعتياد حتى إن البهائم أيضًا تعرَّضت لألم التوبة][٢].

مَلِك نينوى الحكيم قام عن كرسيِّه (عرشه)، لأن العرش لله وحده. وخلع رداءه رمزًا لتعريته لذاته، كما فعل الجُند بالرب يسوع، وتغطَّى بمسح الاتضاع والتذلُّل، وجلس على الرماد؛ إشارة لحرقه كل تذكارات الشر والخطية التي داسها بقدميه. لقد أدرك أن حياته وحياة شعبه ليست في يد النبي الذي يُنذرهم بالموت، بل هي في يد الله الذي أرسله. ففهم الرسالة وَهَبَّ مع شعبه لتقديم التوبة واستمطار مراحم الرب الغنيَّة، فنال النجاة والخلاص له ولشعبه. فنينوى نَجتْ من أجل توبتها وليس بسبب ذبائحها، فقد انسكبت باتضاع في المسوح والرماد، وتركت عنها معاصيها، ورجعت عن أعمالها الرديئة، فاقتنصت لنفسها الغفران والسلامة. وها صوت المسيح يُنادي: «بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ» (لو ١٣: ٣). ولكن مراحم الرب تُحيي رجاءنا حينما نقرأ أن الله لا يشاء موت الخاطئ **مثل أن يرجع ويحيا**، وفي ذلك المعنى يقول القديس كيرلس الاسكندرى:

[فالرب المُسرِع تجاه الرحمة حينما رأى توبة أهل نينوى، رجع عن غضبه حسب قوله: «اِطْرَحُوا عَنْكُمْ كُلَّ مَعَاصِيكُمُ الَّتِي عَصَيْتُمْ بِهَا ... فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟ لأَنِّي لَا أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا» (حز ١٨: ٣١، ٣٢)، «هَلْ مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ؟ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. أَلَا بِرُجُوعِهِ عَنْ

(٢) المرجع السابق ص: ٣٩، ٤٠.

طُرُقِهِ **فَيَحْيَا**؟» (حز ١٨: ٢٣). فقول الرب إنه **"ندم على الشرِّ"** لا يقصد فعل الشر، بل بالحري الغضب الذي بسبب الشرور لأن إلهنا مُحِبٌّ للفضيلة وليس فاعلًا للشرور][٣].

ارتحل يونان من المدينة، وبات مترقِّبًا ما سوف يحدث لها؛ أي دمارها. ولكنه اغتمَّ وحزن لأنَّ شيئًا لم يحدث، إذ قد عفا الله عن المدينة؛ فحَزِنَ لأجل انكشاف موقفه وانكفائه على ذاته، وشعوره بالحرج لظهوره بمظهر الكاذب، وهو لم يكن كذلك، كما سبق الإيضاح. لكن العجيب في الأمر أن يُعاتب يونان (الخادم) إلهه على كثرة رحمته على خليقته، بينما نجد خادمًا آخر – مثل بولس الرسول – يُظهر لنا فرحته ومدي استعداده الكامل أن يكون هو نفسه محرومًا من أجل أنسبائه في الجسد (رو ٩: ٣). فلماذا يحزن يونان إن رجعت نينوى عن خطاياها ونجت؟ فالله يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحقِّ يُقبِلون. والله يُضيِّق على الإنسان بتجارب متنوعة: عواصف، ضيقات، أمراض، بأُناسٍ أشرار، وأحزانٍ مختلفة، حتى يُلزمنا – بدلًا من الهروب إلى ترشيش – أن نهرب إليه بالتوبة والندم والخوف والطاعة والتسليم لمشيئته، لكي ننجو نحن وكل مَن معنا في السفينة (البيت والكنيسة والخدمة والعالم).

أخيرًا، نَلمَحُ في السِّفْر صورة جميلة لمراحم الرب الشاملة لكل خليقته، بقوله: **"وبهائم كثيرة"**. فهنا يظهر لنا مدى عظمة صلاح الله كإله لكل الخليقة، فهو لا ينسى حتى البهائم التي تألمت وشاركت البشر في الصوم والتذلُّل، فحسبها أيضًا جديرة برحمته العالية التي وهبها لأهل نينوى. والكتاب المقدس يُعلِّمنا أنَّ: «الصِّدِّيقُ يُرَاعِي نَفْسَ بَهِيمَتِهِ» (أم ١٢: ١٠)، فليس مُستغرَبًا على الله خالق الكلِّ **أن يُراعي نفس هذه البهائم،** بل وكلَّ خليقته برحمته العالية، كما يقول المرنِّم: «**النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَبُّ،** مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اَللهُ! فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ» (مز ٣٦: ٦، ٧).

(٣) تفسير سفر يونان النبي للقديس كيرلس الاسكندرى- مؤسسة القديس انطونيوس. ترجمة د. جورج عوض، طبعة أولى: ص ٣٩.

دراسات ليتورجية

الحياة اللّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية[1]

(١)

مُقدِّمة:

”التاريخ اللَّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة“، هو علمٌ كنسي جديد، لم يكن معروفًا في الكنيسة القبطيَّة من قبل، كمنهجٍ مُتكامل، يُغطِّي ألفَين من السِّنين، هو عُمر كنيسة الإسكندريَّة، منذ تأسيسها على يدَي القدِّيس مرقس الرَّسول.

ومن هذا العدد سنُقدِّم سلسلة مقالات في دراسة هذا التاريخ اللِّيتورجي لكنيستنا القبطيَّة عَبْر القرون. وفي الحقيقة، إنَّ هذا التاريخ هو الباب الذي به نستطيع أن نفهم ونستوعب كثيرًا من المُمارسات في كنيستنا القبطية اليوم. وبدون استيعاب هذه الجذور الممتدَّة في التاريخ إلى بواكير الحياة المسيحية فيها؛ سيصعب علينا فهم ما يحويه هذا البناء الشامخ الذي تأسس على أساس الرُّسُل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية فيها.

وبدراسة التاريخ اللِّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة واستيعابه جيِّدًا، تتربَّى عند المسيحي حاسة ليتورجيَّة قويَّة يستطيع من خلالها أن يُفرز ويُميِّز الصَّحيح فقط، مِمَّا قد يُستجدُّ عليها من تطورات وإضافات في زماننا الحاضر.

وأخيرًا نقول: إن المُمارسات اللِّيتورجية للكنيسة تُركِّز أساسًا على مضمونها الغني، أكثر من كونها شرحًا للحركات الطَّقسيَّة في حدِّ ذاتها.

القرن الأول الميلادي

عمومًا يكتنفُ التاريخ المُبكِّر للكنيسة المسيحيَّة في مصر في القرنين الأول والثَّاني للميلاد، غموضٌ شديد، لا تنقشع غمامته إلَّا مع بداية القرن الثالث. فليس هناك أي برديَّات تعود للقرن الأول، ولعلَّ السبب في ذلك أن مؤمني كنيسة الإسكندرية - وكانوا من اليهود المستوطنين فيها - كان من العسير أن تمتدَّ كرازتهم بالمسيح خارج وسطهم

---

(١) هذه المقالة، وما ستتبعها، هي من كتاب: ”موجز التاريخ اللِّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة“، للأب أثناسيوس المقاري. وهو من جزئين، الأول: ”العشرة قرون الأولى“، والثاني: ”من القرن الـ ١١ حتى منتصف القرن الـ ٢٠ للميلاد“. وهذا الموجز هو بمثابة تلخيص لِمَا يزيد عن خمسة وأربعين كتابًا، وهي مجموعة كتب: ”الدُّرَّة الطَّقسية للكنيسة القبطيَّة بين الكنائس الشرقيَّة“. حيث اقتصر هذا الموجز على ما يختص بالحياة اللَّيتورجية لكنيسة الإسكندريَّة فحسب. وقد صدر الكتابان سنة ٢٠١٨م.

اليهودي بسبب بُغضة اليونانيين لهم. إذ كان الوثنيون يرون اليهود كأعداء للجنس البشري. وكانت قد حدثت مُصادمات كُبرى بين اليهود واليونانيين في مصر، وفي الإسكندريَّة بالتحديد. لذا فإن المسيحيَّة التي وصلت للإسكندريَّة، كان يُنظر إليها كشيعة يهوديَّة مُتطرفة.

كنيسة أورشليم هي أقدم مصدر ليتورجي للكنيسة المسيحية في مصر:

نعلم أنَّ القديس مرقس كان مُعاصرًا لنشأة كنيسة الإسكندرية، وكنيسة أورشليم برئاسة القديس يعقوب الرسول، فنقل عنها الكثير إلى كنيسة الإسكندرية. وهذا هو السبب لِمَا نراه من توافُق يصل إلى حدِّ التطابُق في بعض نواحي الحياة الّليتورجية للكنيستين.

ومن جهةٍ أخرى، كان ليهود الإسكندرية والقيروان مجمع خاص بهم في أورشليم (انظر: أع ٦: ٩). وعندما آمن بعض اليهود بالمسيحية، لم يكن من السهل أن تنقطع الصلة بين عوائدهم اليهودية القديمة وديانتهم الجديدة. بل كانت كنيسة الإسكندرية هي الحارس الأمين لكثير من الطقوس القديمة لكنيسة أورشليم، وحتى اليوم.

المسيحية المُبكِّرة في مصر كانت يهوديَّة الأصل:

ارتبطت المسيحية المُبكِّرة في مصر باليهوديَّة، لأن البشارة التي وصلت إلى مصر كانت ذات ميول يهودية، أي من اليهود الذين قبلوا المسيحيَّة، أكثر من كونها تميل لتعاليم الرسول بولس. وطبقًا لسِفْر الأعمال (٢: ٤)، فإن المسيحيين من أصل يهودي، كانوا يعيشون في مصر في تاريخٍ مُبكِّر جدًّا. وعندما أسَّس مار مرقس كنيسة الإسكندرية، ظلَّ أوَّل ستة أساقفة للكنيسة من اليهود.

بعض الملامح الّليتورجيَّة في القرن الأوَّل الميلادي:

أهم مصدر لدينا هو كتاب "الديداخي، أي تعليم الرسل"، وهو من مؤلَّفات نهاية القرن الأول الميلادي، ويحوي أقدم الإشارات الّليتورجية للكنيسة بعد الأسفار المقدسة. وهذه موجز لها:

+ **"الاعتراف العلني في الكنيسة لاستحقاق التناول من جسد الرب ودمه"،** وهو الاعتراف الذي عُرف في الكنيسة منذ نشأتها. فنقرأ: "اعترف بزلّاتك في الكنيسة، ولا تقرب صلاتك بضميرٍ شرير. عند اجتماعكم يوم الرب، اكسروا الخبز، واشكروا، بعد أن تكونوا قد اعترفتم بخطاياكم، لكي تكون ذبيحتكم طاهرة".

+ **"الصوم"،** نقرأ عن الصوم وأهميته، ولكن بدون أيَّة تحديدات تختص به، ويوصي تجنُّب ما ذُبح للأوثان. وهناك أقدم إشارة على الإطلاق عن صوم يومَي الأربعاء والجمعة.

+ **"المعمودية"**، تُشير (الديداخي) بوضوح أن معمودية الماء والروح كانت تُمارَس منذ البداية باسم الثالوث الأقدس، وكان يسبقها صوم يومًا أو يومين. وكانت تُمارَس بمشهدٍ من آخرين. وإن لم يكن هناك ماء جارٍ، فيمكن بماء آخر. وإن لم يمكن بماء بارد، فبماء ساخن. وإن لم يكن لديك كلاهما، فاسكب ماءً على الرأس ثلاث مرات، باسم الآب والابن والروح القدس.

+ **"نظام الصلوات اليومية في الكنيسة الناشئة"**، إنه كان ترديد الصلاة الربِّيَّة ثلاث مرات في اليوم.

+ **"إقامة الإفخارستيا في الكنيسة في يوم الرب"**، توصي بألَّا يأكل أو يشرب أحدٌ من الإفخارستيا غير المعتمدين باسم الرب، حسب قوله: «لاَ تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكِلاَبِ» (مت ٧: ٦). "وعند اجتماعكم يوم الرب، اكسروا الخبز، واشكروا، بعد أن تكونوا قد اعترفتم بخطاياكم، لكي تكون ذبيحتكم طاهرة. لا يجتمع معكم كلُّ مَن له مُنازعة مع صاحبه، حتى يتصالحا، لئلا تتنجَّس ذبيحتكم".

+ **"وجود أساقفة وشمامسة، ولكن لا ذِكْر للقسوس"**، توصي بأن يُقيموا رجالًا وُدعاء، غير مُحبِّين للمال، صادقين، قد اختُبروا، فهم يخدمون خدمة الأنبياء والمُعلِّمين.

والسؤال هنا: كيف استطاعت تلك الكنيسة الغضَّة النَّاشئة، أن تصمد أمام أعظم مدرسة فلسفيَّة وثنيَّة؟ بل وأمام فلسفات مسيحيَّة عاتية، كالغنوسيَّة وغيرها؟ بل وأمام معابد وهياكل وثنيَّة، رعت دين أجداد، امتدَّت جذوره إلى خمسة آلاف سنة خلت؟

القرن الثاني الميلادي

بداية تحرُّر كنيسة الإسكندريَّة من القيود والعوائد اليهوديَّة:

هذا القرن يمكن تقسيمه لمرحلتين، **الأولى**: حين عاش المسيحيون الأوائل في مدينة الإسكندرية من أصل يهودي جنبًا إلى جنب مع اليهود الذين سكنوا ذات المناطق في المدينة، وكانوا يُشاركونهم الحياة في المجمع اليهودي إلى جانب عبادتهم الجديدة في الكنائس التي أنشأوها في البداية في بيوتهم.

ولكن مع أوائل القرن الثاني الميلادي، بدأ المسيحيون يظهرون كجماعةٍ مختلفة ومُتميِّزة عن المجتمع اليهودي. هذا الانفصال بين المجمع اليهودي والكنيسة تمَّ بشكله النهائي بعد ثورة اليهود سنة ١١٧م، والتي جرت أيام حكم الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧م).

المرحلة الثانية: هي المحصورة ما بين سنة ١١٧ وسنة ١٨٠م، حين قلَّ الارتباط

الوثيق الذي كان قائمًا بين كنيسة الإسكندريَّة، من جهةٍ؛ وكنيسة أورشليم وكنيسة سوريا، من جهةٍ أخرى، في مقابل ازدياد هذا الرباط بين كنيسة الإسكندريَّة وكنيسة روما.

بعض مظاهر التحرُّر من القيود اليهودية في كنيسة الإسكندريَّة:

+ هناك تشابُه قريب جدًّا بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة روما. وظهرت رسائل متبادلة بين الكنيستين بانتظام، بخصوص عيد الفصح.

+ ظهرت "مدرسة الإسكندريَّة اللاهوتيَّة"، وكان العلَّامة أثيناغوراس هو أول مدير لها، ومن بعده العلَّامة بنتينوس. وبفضل هذه المدرسة، صارت الكنيسة أكثر تنظيمًا ونشاطًا رعويًّا وكرازيًّا. فانطلقت تُبشِّر بين المصريين في الريف والقرى والنجوع، مع ظهور اللغة القبطيَّة كلغةٍ شعبيَّة.

آثار المسيحيين الأوائل من أصل يهودي على كنيسة الإسكندريَّة:

+ يُعدُّ "فيلو" أحد أهم الشخصيَّات المُعتبَرة في الجالية اليهوديَّة بالإسكندريَّة. وكان يتميَّز بأسلوبه الرَّمزي في تفسير الكُتُب المقدَّسة، والبحث عن المعاني المُختبئة وراء الكلمات. وقد انتشر هذا الفكر في كل أنحاء العالم المسيحي، لا سيما في كنيسة الإسكندريَّة، وذلك عَبْر العلَّامة كليمندس الإسكندري، ومن بعده العلَّامة أوريجانوس.

+ الترجمة السبعينيَّة هي الترجمة التي نقلت عنها الترجمة القبطية، ولقد ثبَتَت كنيسة الإسكندريَّة على ما تسلَّمته من الكنيسة الرسوليَّة الأولى، باعتبارها هي الكتاب الرسمي للعهد القديم.

مشكلة تحديد يوم عيد الفصح

في منتصف القرن الثاني الميلادي، أُثيرت مشكلة تحديد يوم عيد الفصح، وهل يكون في اليوم الرابع عشر القمري؟ وتزعَّم هذا الرأي أساقفة آسيا. أو يكون في يوم الأحد؟ وهو ما كانت تُمارسه فعلًا كنيسة الإسكندريَّة مع بقية الكنائس. وبناء على طلب من مجمع عُقد في فلسطين، أرسلت كنيسة الإسكندريَّة ردًّا إلى المجمع يُفيد بزمان وطريقة الاحتفال بالفصح.

(يتبع)

الاختبار المسيحي الحقيقي

✠✝✠

الفرح الروحي:

يظل الإنسان المسيحي تائهًا في طريق خلاصه، تتلاقفه أمواج بحر العالم، تُلقيه شمالًا ويمينًا إلى أن يأتي الوقت الذي يتلاقى فيه مع المسيح. فقبل معرفة المسيح يعيش المسيحي حياةً مزدوجة معظمها لنفسه وللعالم وبعضها لله. وتتسم علاقته بالله أو بالمجتمع الكنسي بالسطحيَّة والهشاشة ويغلب عليها المظاهر الدينيَّة المزيَّفة والخدَّاعة. ويظل الإنسان يتعثَّر في سعيه الروحي إلى أن يأتي الوقت الذي يستجيب فيه الإنسان لافتقاد الله. فيبدأ العقل يستنير بكلمات الإنجيل، والروح تتيقَّظ لعمل الروح القدس، ويدخل الإنسان في علاقة حبٍّ مع المسيح، فيسمو فوق آلامه، وتتبدَّل اهتماماته، وتصبح جلُّ تعزياته في الوجود الدائم في محضر الرب، كما يُدرك الخسارة الفادحة التي دفع ثمنها غاليًا عندما كان يعيش لذاته وللذَّاته وللعالم. واختبار العلاقة الحقيقيَّة مع المسيح كفيلٌ بأن يُحوِّل دفَّة الحياة لتتوجَّه توجُّهًا صحيحًا نحو بَرِّ الحياة الأبديَّة. وفي الاختبار الحقيقي مع المسيح يصبح الربُّ قريبًا جدًّا ومُعزِّيًا لنفس الإنسان، وتنمو صداقةٌ ودالَّةٌ وحبٌّ بين قلب الإنسان وقلب الله المُحبِّ الوفي. وبقدر ما يزداد إخلاص الإنسان للمسيح بقدر ما يفتح المسيح كنوز حبِّه ويُغدق على الإنسان فيُغرِّقه في بحر نعمته، ويترك الإنسان نفسه لتيارات النعمة حتى يستشعر شاطئ الأبدية في قلبه.

فعلامة الاختبار المسيحي الحقيقي الأولى والتلاقي الحقيقي مع الرب هي: الفرح الروحي. فرحٌ يُغلِّف القلب كفرح العذراء بميلاد عمانوئيل. فرحٌ كفيلٌ بأن يرفع القلب فوق كلِّ آلام الزمان الحاضر. فرحٌ يتسامى فوق حدود السِّنِّ والثقافة والفقر والمشغوليات التي لا حدَّ لها. والفرح المسيحي هنا هو فرحٌ بالتوبة وبالرجوع لحضن الآب بعد مرارة الغربة عن الوطن وجوع كورة الخنازير. فرح يجعل الدمع ينسكب في هدوء، والقلب يطفر في رصانة، والعين تنفتح على كل ما هو سماوي. إنه فرحٌ جريءٌ يجعل القلب يُضحِّي بكلِّ

ملذَّات العالم في مقابل أن يتلاقى مع قلب الله المُحبِّ.

الأُذُن الروحية:

ثم تأتي الخطوة الثانية وهي تتمثل في الإنصات الكامل لكلمات الإنجيل، والاستعداد المُستميت لتنفيذ الوصية، حبًّا في الرب. فبعدما كانت الأُذُن تتلذَّذ بالاستماع لكلمات العالم، تجد اليوم سعادتها في الاختلاء بالإنجيل وإعطاء أكبر وقتٍ للجلوس عند قدمَي الرب. فيُكرِّس الإنسان وقتًا ليقرأ الإنجيل رغم مسؤولياته ومشغولياته. ويجد سعادته وفرحه في طاعة الوصية، ويحسُّ بنِير المسيح الهيِّن وحمله الخفيف: «وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً» (١يو ٥: ٣). ويشعر المسيحي بقوة عمل الكلمة في داخله فيجد فيها تطهيرًا لقلبه، ويشعر بنفاذها إلى مفرق نفسه وروحه وتمييزها لأفكار القلب ونيَّاته. وبوداعة يقبل أن تنغرس الكلمة في داخل قلبه، فيطمئن لخلاصه. وتنمو الكلمة في قلبه إلى أن تصبح كشجرة عظيمة، فتأتي طيور السماء وتتآوى في أغصانها. وتنثر تقاويها في قلوب مَنْ حولها لتُثمر لحساب ملكوت الله.

الشبع الروحي:

بعد أن يشعر الإنسان بالمسيح يُكلِّمه من خلال الإنجيل، يبدأ يشعر بفطامٍ عن كلِّ ما هو مادي وأرضي، وعن كلِّ ما يُعطِّل روحه عن انطلاقها نحو غرضها السماوي. فيكفُّ عن السعي وراء شهوة الجسد وشهوة العين وتعظُّم المعيشة، ويتسامى فوق شهوات الجسد وغرائزه، ويعيش في العالم كغريبٍ ونزيل لا يشتهي فيه أرضًا ولا موطنًا. ويتنازل عن كلِّ ما يُعوِّق سعيَه الروحي سواءً كان أصدقاء أو أماكن أو تسليات أو غيرها. ويشعر الإنسانُ بنموٍّ روحيٍّ يكبر في داخله، فيجد أن شبعه أصبح في الصلاة بدلًا من الأحاديث العالمية، وسعادته في الهدوء بدلًا من الضوضاء، وفرحه في السُّكوت أكثر من الكلام، ورغبته في الاتحاد بالله أكثر من الشَّهوات، واشتياقاته في خدمة الربِّ أكثر من خدمة رئيس هذا العالم. والربُّ في محبته يفتح وعي الإنسان على العالم الروحي فعِوَض العين الجسديَّة يخلق فيه عينًا روحيَّةً واستنارةً وبصيرةً يستطيع أن يُميِّز بها كلَّ خطوات مسيرته وقراراته. وعِوَض القلب الحجري القديم يخلق فيه الربُّ قلبًا جديدًا نقيًّا لكي يحبَّ الربَّ بصورةٍ أعمق، ولكي يكون له أحشاء رأفات يرقُّ بها لخليقة الله. وبالإجمال، يصير الإنسان خليقةً جديدةً في المسيح: «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ:

الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كو ٥: ١٧)، ويعيش في الجسد وكأنه في الملكوت، ويختبر قول الكتاب: «هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧: ٢١).

أخيرًا:

"الاختبار المسيحي الحقيقي" أو "العلاقة الحقيقيَّة مع الربِّ" هي حتميَّة روحيَّة لكلِّ مَنْ يريد أن يشعر بقيمة وفاعليَّة المسيح في حياته، وحتميَّة أيضًا لكلِّ مَنْ تعب من المسير وراء ذاته ولم يجد راحة أو سعادة. هي أيضًا حتميَّة روحيَّة لكلِّ مَنْ يريد تذوُّق جمال الرب ووعوده. وضرورة لكلِّ مَنْ يريد أن يعرف بداية ومعالم الطريق الروحي.

يكفينا، يا أخي الحبيب، مُسكِّنات أخذناها ولم تؤتِ ثمارًا فينا، بل أخذتنا من وجودنا الحقيقي وطرحتنا في فراغٍ أكبر. هَلُمَّ نرجع إلى الطبيب الحقيقي لأن عنده دواءنا وفيه شفاؤنا، فهو القائل: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ» (مت ١١: ٢٨-٣٠).

****

(بقية المنشور صفحة ١٨ – عظة عن موسم الصوم المقدَّس)

١٢- باعتبار كل ذلك، إذن، أيها الأعزاء المحبوبون، واعتبار القيمة العظيمة لخلاصنا، دعونا نزدري بالإسراف (أو الإفراط) باعتباره غبيًّا ومؤذيًا، ودعونا نعتنق الصوم والمواقف الصائبة معه، ودعونا نُبدي أسلوب حياةٍ مُتجدِّدًا، ونوجِّه أنفسنا يوميًا إلى إنجاز أعمالٍ صالحة. وبتلك الطريقة، إذ نقضي موسم الصوم الكبير المقدَّس كله متصرفين بصالحاتٍ روحية وجامعين ثروةً عظيمةً من الفضيلة؛ نكون بذلك مستحقِّين أن نصل إلى يوم الرب ونقترب بثقةٍ إلى تلك الوليمة الروحية الرهيبة، ونُشارك بضميرٍ نقي في تلك الصالحات التي تفوق الوصف والخالدة؛ إذ نكون ممتلئين من الصوم بالنعمة وبصلوات وشفاعات أولئك المُرضين للمسيح إلهنا المحبوب، الذي له مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وإلى الأبد، آمين.

ومضات من نشيد الأنشاد سِفر المحبة

✠✝✠

سِفْر النشيد هو لغة المحبة بين النفس المُدَرَّبة وعريسها، لكنه ليس هو لسان حال المؤمن في بداية الإيمان؛ عندما يكون في حاجة ماسَّة لفَهم أركان بداءة أقوال الله، ولإدراكه لغفران خطاياه، ولفهم حياة التوبة. فرغم أهمية هذه البركات، فسِفْر النشيد لا يتطرَّق لها إلَّا قليلًا.

لقد كانت ذات يوم قاسية، وعُنقُها عَضَلًا من حديد، وجَبهتُها نُحاسًا (انظر: إش ٤٨: ٤). ولكن ما أعظم التغيير الذي فعلته النعمة! فها هو الرب يرى جمال «خَدُّكِ كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ»، وإذا ما وارت هي هذا الجمال «تَحْتَ نَقَابِهَا» (نش ٤: ٣)، ففي ذلك إشارة إلى الحياء وتخصيص حُبِّها للعريس وحده. فحياتها الباطنية هي لمدح ولمسرَّة قلب السيد دون سواه، ولإشباع قلب الرب لا لإظهار ذاتها أو الافتخار بها، فهو "يُسرُّ بالحق في الباطن" (مز ٥١: ٦). أمَّا عندما تكون العروس في حِجال الملك، وفي «سِتْرِ الْمَعَاقِلِ»، مكان الشركة السِّرِيَّة، إذ صار لها حقُّ الاقتراب إلى الأقداس أي الدخول في حضرته، تُرى بغير النقاب، بوجهٍ مكشوف، فيرى الرب جماله المُنعكس على وجه عروسه (انظر: حز ١٦: ١٤) "تحت النقاب"، وأمَّا في الخارج وأمام الغير فلابدَّ من النقاب. إنَّه يراها الآن طاهرة كالحمامة (نش ٢: ١٤؛ مت ١٠: ١٦)، ولا عيب فيها (أف ١: ٤)، بعد أنْ كانت ذات يومٍ «كَحَمَامَةٍ رَعْنَاءَ» (هو ٧: ١١).

«فِي اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ، فِي الأَسْوَاقِ وَفِي الشَّوَارِعِ، أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ» (نش ٣: ١-٢). إنَّ العروس لم تجد بُغيتها. ألعلَّها أخطأت في طلب الشخص؟ كلَّا، لكنَّها طلبَته

بطريقةٍ خاطئة. قالت: «عَلَى فِرَاشِي ... طَلَبْتُهُ»، طَلَبَتْه ولكن أرادت أن تحتفظ بكسلها. فإذ طلَبَتْه على الفراش، لم يُعلِن نفسه لها. تطلبُه في مكانٍ خاطئ، إنه لا يوجد في الشوارع أو في ساحات هذا العالم وأسواقه. وماذا قدَّم العالم للعريس سوى البغضة والصليب؟

تطلبُه بين أُناسٍ ليسوا ذوي اختصاص، فهي تسأل عنه «الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ» (ع ٣). إنَّ عمل الحَرَس الطائف هو تتميم الأحكام وحِفْظ النظام وتوفير الأمان، لكنهم لا يقدرون أن يجلبوا العونَ في طلبِ المحبوب. فعندما تكون القضية ظُلمًا أو خُبثًا رديًّا، فإن "غاليون" هذا العالم يتعامل معها؛ أمَّا إذا كانت المسألة «محبة» و«يسوع» فهي في نظر العالم مجرد "مَسْأَلَةٍ عَنْ كَلِمَةٍ، وَأَسْمَاءٍ"، فالعالم «لا يشاء أن يكون قاضيًا لهذه الأمور» (انظر: أع ١٨: ١٤-١٥).

لكن العروس تَغلَّبتْ في النهاية على كل عثرة وصعوبة أمامها: السرير، والمدينة، والحرس الطائف. فلم تتجاوزهم إلَّا قليلًا حتى وجدَت محبوبها، ولمَّا وجَدَته أمسكَتْه ولم تُرْخِهِ، وتشبَّثت به ولم تُطلِقْه (قارن: تكوين ٣٢: ٢٦).

في (نش٣: ٧-١١) تُرى العروس، لا كما في مطلع الأصحاح مسْتلقيةً على فراشها تطلب مَنْ تحبُّه نفسها فلا تجده، بل أمام تخت سليمان أي مُتَّكئة. إن التخت هو مكان راحة لسليمان، وهو «... مَرْصُوفًا مَحَبَّةً مِنْ بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ»؛ إنه مصدر راحة لهُنَّ وشركة وسط مخاوف الليل ومخاطره. ففي ليل غيابه، كثيرًا ما تتحرَّك الضباع والذئاب، الأسود والكلاب، والأفاعي أيضًا.

«كُلُّهُمْ قَابِضُونَ سُيُوفًا وَمُتَعَلِّمُونَ الْحَرْبَ. كُلُّ رَجُلٍ سَيْفُهُ عَلَى فَخْذِهِ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ» (نش ٣: ٧-١١). في أيام نحميا كان الرجال باليد الواحدة يعملون العمل، وبالأخرى يمسكون السلاح، إذ كانوا مُحاطين بالأعداء من كل جانب (انظر: نح ٤: ١٧)؛ هكذا نحن، فالعالم كله وُضِعَ في الشرير (١يو ٥: ١٩)، والشيطان عدوُّنا كأسدٍ زائر يجول مُلتمسًا مَنْ يبتلعه (١بط ٥: ٨)، لكن المؤمنين «تَنْوِيهَاتُ اللهِ (تسبيح الله) فِي أَفْوَاهِهِم، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِم» (مز ١٤٩: ٦).

مكتوبٌ عن المؤمنين أنهم «وَرَاءَ الرَّبِّ يَمْشُونَ. كَأَسَدٍ يُزَمْجِرُ» (هو ١١: ١٠) كلمات

تقفز منها دقَّات الانتصار النابضة بالقوة، فها الملكُ كأسدٍ يُزمجِر، داعيًا البنين للسير في موْكِب الأسد. يسيرون وراءَه ويكون هو «كَأَسَدٍ يُزَمْجِرُ»، لكن هل سيكون في أعينهم كالأسد أم كالظبي وغُفرِ الأيائلِ (انظر: نش ٢: ٩، ١٧)؟ الظبي بالعربية تقابلها كلمة عبرية بنفس النطق تقريبًا: צְבִי، وتعني "جمال – مجد – غزال". فيظل التساؤل: أهو شبيه بالأسد أم بالظبي؟ فبالنسبة لأعدائها هو كالأسد، وبالنسبة لقَلْبِها هو الرَّجُل الرقيق، مُرهَفُ الحسِّ والودود. أمَّا هي فكامرأة تسيرُ في كَنَف رَجُلها فتراه أسدًا في وجه كل ما يقابلها مِن التحديات والعراقيل، بينما تستعذبُهُ كالظبي لصدق محبته وَتَسَلُّقه العوائق بغية الوصول لقلبها.

فهذا الأسد سوف نسير وراءه بصفته عريسنا السماوي بل ومُنتَظَر قلوبنا، سيتحدَّى كلَّ أخطار وعوائق البريَّة التي نجوبُها، بل وسيفتخر على كلِّ محاولات العِدَى لتفشيلنا وكأنَّ الرجاء ضاع أدراج الرياح، وسيُبَوِّق لنا، فيُقام الأموات عديمي فساد ونحن الأحياء نتغيَّر.

ويُختم هذا المقطع بدعوة بنات أورشليم لكي يخرُجْنَ، لينظُرْنَ الملك سليمان بالتاج الذي توَّجته به أُمه يوم عُرْسه ويوم فرح قلبه (انظر: نش ٣: ٧-١١). فهو تاج خضوع شعبه له وترحيبهم به، وتقديرهم وتسبيحهم له ولا سيما عندما يجمعنا الروح القدس للسجود والعبادة لشخصه، فنُكْرمه في عالم لم يُقدِّم له سوى المذود في البداية والصليب في النهاية، وعلى طول الطريق بينهما لم يكن له أين يُسْنِد رأسه!

«حَبِيبِي نَزَلَ إِلَى جَنَّتِهِ، إِلَى خَمَائِلِ الطِّيبِ، لِيَرْعَى فِي الْجَنَّاتِ، وَيَجْمَعَ السَّوْسَنَ» (نش ٦: ٢). ليس للرب في كل الأرض سوى جنة واحدة، هي كنيسته التي اقتناها بدمه، والتي تتكون من خاصته الذين في العالم، أي المؤمنين الأتقياء الذين بالنسبة للحبيب هم "خمائل الطِّيب". وسجودهم في محضره هو عطرٌ ينعش قلبه.

«كَالسَّوْسَنَةِ بَيْنَ الشَّوْكِ كَذلِكَ حَبِيبَتِي بَيْنَ الْبَنَاتِ» (نش ٢: ٢). إن كان العالم حقلًا مليئًا بالشوك، أعني الأشرار، الذين يقول داود عنهم: «وَلكِنَّ بَنِي بَلِيَّعَالَ جَمِيعَهُمْ كَشَوْكٍ» (٢صم ٢٣: ٦). فالسوسن هم المؤمنون، موضوع عناية الرب، الذين قيل عنهم: «سَوْسَنَةُ الأَوْدِيَةِ» (نش ٢: ١). لقد نزل الراعي إلى جنته ليرعى بين السوسن، ليحضر وسط اجتماعات القديسين، ويتولَّى بنفسه إطعامهم. إنه يرتاح وسط اجتماعات

القديسين: «هذِهِ هِيَ رَاحَتِي ... هُنَا أَسْكُنُ لأَنِّي اشْتَهَيْتُهَا» (مز ١٣٢: ١٤). إنَّ جَمْع السَّوسن من حول الراعي لا ينتج عنه ملء للبطن، بل لذَّة للقلب. وكم يجد الرب شِبعًا لنفسه (انظر: إش ٥٣: ١١) عندما يجد من حوله أشخاصًا مختلفين عن باقي الناس، وسرورهم مجده.

أخي، هل اجتماعاتنا دائمًا جنَّات للرب؟ هل يرى في اجتماعاتنا ثمرًا شهيًّا ونفيسًا، فيشتمَّ عبير سجودنا ويبتهج؟ هل نقول له: «عِنْد أَبْوَابِنَا كُلُّ النَّفَائِسِ مِنْ جَدِيدَةٍ وَقَدِيمَةٍ، ذَخَرْتُهَا لَكَ يَا حَبِيبِي» (نش ٧: ١٣)، فيُجيبَنا: «قَدْ دَخَلْتُ جَنَّتِي ... قَطَفْتُ ... أَكَلْتُ ... شَرِبْتُ» (نش ٥: ١)؟ أم يجد الذَّات عاملة، والجسد والأنين والتذمُّر والحسد والأنانية، فهل اجتماعات كهذه تكون جنَّة بالنسبة له؟ أيجد سروره في مثل هذه الحالة؟

إنَّ ذاك الذي تكلَّلت رأسه بالأشواك لأجلنا، يستحقُّ أن تكون اجتماعاتُنا حولَه لإكرامه، جنَّات للذَّته وشبع قلبِه. وقريبًا سيجمعنا الاجتماع الأبدي، في احتفالٍ رائع مهيب، سيجمع الرب كل مَنْ له في هذا العالم، في ما يُسمِّيه الرسول بولس: «اجْتِمَاعَنَا إِلَيْهِ» (٢تس ٢: ١).

أخيرًا، لقد ارتقى مستوى العروس، فما عاد يشْغَلُها ما هو لها، بل ما هو له. فهي هنا لم تَقُل: «حَبِيبِي لِي وَأَنَا لَهُ» (نش ٢: ١٦)؛ بل رُتِّبت العبارة ترتيبًا أفضل فقالت: «أَنَا لِحَبِيبِي وَحَبِيبِي لِي» (نش ٦: ٣).

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

بحث تاريخي

دير القديس
الأنبا بلامون السائح الأخميمي
(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الآثار والفنون القبطية
ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

✠✠✠

القديس الأنبا بلامون السائح الأخميمي Saint Balamoun the Hermit:

هو واحدٌ من أهم أعمدة الرهبنة القبطية في مصر، حيث كان المُعلّم والأب الروحي الذي تتلمذ على يديه أعدادٌ غفيرة من الرهبان والنُّسَّاك الأوائل والقديسين الأجلَّاء أمثال: القديس باخوميوس مؤسِّس حياة الشركة في القرن الخامس الميلادي في صعيد مصر، وغيره أمثال: القديس الأنبا تادرس والقديس الأنبا بضابا أسقف قفط.

وُلِدَ القديس الأنبا بلامون السائح في أخميم في القرن الثالث الميلادي. واسمه اسم مصري قديم يعني: "خادم آمون". وكان هذا القديس تقيًّا صالحًا منذ نعومة أظافره. وفي يومٍ ما، توجَّه القديس الأنبا بلامون السائح إلى الكنيسة كعادته، ثم خرج منها متَّجهًا إلى الجبل. وفيما بعد ذهب لزيارة أنبا تلاصون الذي كان يعيش في قلعة في جبل مجاور واعترف له بخطاياه وانتفع منه كثيرًا، ثم عاد القديس الأنبا بلامون السائح إلى الجبل في محافظة قنا وعاش هناك في المكان الذي شُيِّد فيه ديره بعد نياحته. عاش هذا القديس العظيم سنواتٍ طويلة يتردَّد على الفقراء والمساكين والمُحتاجين والمرضى، لمساعدتهم وقضاء حوائجهم وتوجيههم وتعليمهم مبادئ الإيمان الصحيح وتعاليم الحياة الروحانية السليمة.

ثم جاء إليه القديس باخوميوس ليعيش معه تحت الاختبار ثلاثة أشهر إلى أن ألبسه القديس الأنبا بلامون السائح إسكيم الرهبنة. وعاش القديسان معًا حياةً رهبانية ونُسكيَّة مليئة بالروحانيات والزُّهد والصلاة والعبادة وعمل اليدين والحُبِّ الإلهي بقلبٍ صادق

وباتساع أُفق وفكر مستنير. وقد شجَّع القديس الأنبا بلامون السائح القديس باخوميوس في البداية وساعده في تأسيس نظام الرهبنة الباخومية في سوهاج. وقد شاركه الإقامة في دير القديس الأنبا باخوميوس، ثم عاد بعد ذلك ليُكمِل حياة الزهد في قلايته في محافظة قنا إلى أن تنيَّح القديس الأنبا بلامون السائح في سنة ٣١٦م. ويتم الاحتفال سنويًّا بذكرى نياحته يوم ٢٥ أبيب / ١ أغسطس.

الموقع الجغرافي لدير القديس الأنبا بلامون السائح الأخميمى:

يبعد دير القديس الأنبا بلامون السائح **(الشكل رقم ١)** عن نهر النيل بحوالي كيلومترًا واحدًا. وبُني هذا الدير القبطي العريق على الطريق الشرقي وهو طريق أسيوط – قنا بجوار تل من الحجر الجيري وبين ثلاث قرى مصرية وهى:

١- قرية الصياد في الجنوب.
٢- قرية القصر في الشمال.
٣- قرية الرحمانية في الغرب.

الشكل رقم ١. منظر عام لدير القديس الأنبا بلامون السائح.
https://www.coptichistory.org/new_page_2362.htm

ويُعتبر دير القديس الأنبا بلامون السائح في القصر والصياد هو الدير الوحيد الذي يحمل اسمه في مصر وفي كل بلدان العالم أجمع. وشُيِّد هذا الدير في قرية القصر والصياد على بُعد ١١ كم من نجع حمادي، وعلى مسافة خمسين كم تقريبًا من محافظة قنا ذات الأحد عشر مركزًا، والتي أُنشئت في صعيد مصر سنة ١٩٦١ على بُعد حوالي ستمائة كم من مدينة القاهرة.

دير القديس الأنبا بلامون في المخطوطات وكتابات المؤرِّخين والرحَّالة والباحثين:

وتؤكِّد المخطوطات القبطية التي عُثر عليها في هذا الدير الأثري الجميل، أن هذا المكان قد تعمَّد فيه بعض القديسين مثل: الأنبا إيساك والأنبا بضابا وابن خالته، وأيضًا القديس الأنبا بلامون السائح بذاته.

ومن الناحية الإدارية، أشار جرجس القبرصي إلى قرية القصر باسم كنتابوليس **Kentapolis** أو جوستينيانوبوليس **Justinianopolis** من اسم الإمبراطور الروماني المشهور جوستنيان.

وفي *معجم البلدان* لياقوت الحموي[١]، عُرِفت هذه القرية باسم: قصر كُليب أو قصر بني كُليب بالقرب من فاو. وفي *الطالع السعيد*[٢]، وردت الإشارة إلى قرية القصر باسم: قصر بني شادي. وفي كل من *تحفة الإرشاد*[٣] *وقوانين الدواوين* لابن مماتي[٤]، عُرِفَت قرية القصر كذلك باسم: قصر كُليب أو قصر بني كُليب أو قصر بني شادي.

كما ذكرها **محمد رمزي** في قاموسه[٥] باسم: قرية القصر والصياد باعتبارها قرية قديمة، أشار إليها أيضًا[٦] **Gauthier** باسم: **hat hor** ويعني: "قصر الإله هور"، أو كما أسماها المصريون القدماء **h3t wrt Imn m h3t** "حات أورت أمنمحات" أي القصر الكبير لأمنمحات. كما عُرفت قرية القصر كذلك بالاسم القبطي **Chenesit**. وقد ذكرها **Amélineau**[٧] في جغرافيته بالاسم العربي **شاناسات،** حيث أوضح أنها تقع على الشاطئ الشرقي للنيل. وفي كتاب: *تحفة السائلين*[٨]، توجد إشارة إلى أن دير القديس الأنبا بلامون السائح بُني بالجبل الشرقي بحاجر القصر والصياد. وكتب عماد نسيم إلياس في كتاب بعنوان: *كتاب الأنبا بلامون*[٩] عن سيرة هذا القديس وديره العريق. وأشار القمص ميخائيل جرجس إلى نفس الدير في مؤلَّفه المنشور بعنوان: *اليوبيل الفضى ١٩٩٧م*[١٠]. كما ورد ذِكْر دير القديس الأنبا بلامون السائح في *موسوعة الأديرة القبطية*

---

(١) ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، دار صادر، ط.٢، بيروت، ١٩٩٥.

(٢) الأدفوي، *الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد*،تحقيق: سعد محمد حسن، وإشراف: طه الحاجري، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة،١٣٨٢هـ.

(٣) *تحفة الإرشاد في أسماء البلاد*، دار الكتب، القاهرة.

(٤) ابن مماتي، *كتاب: قوانين الدواوين*، جمعه وحقَّقه: عزيز سوريال عطيه، القاهرة، ١٩٤٣.

(٥) محمد رمزي، *القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥* ، ١٩٥٣ – ١٩٦٨.

(6) H. Gauthier, *Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques*, Le Caire, 1925.

(7) É. Amélineau, *La géographie de l'Egypte à l'époque copte*, Imprimerie nationale, Paris, 1893.

(٨) القمص عبد المسيح صليب المسعودي البراموسي، كتاب: *تحفة السائلين في ذِكْر أديرة رهبان المصريين*، مطبعة الشمس، القاهرة، ١٩٣٢.

(٩) عماد نسيم إلياس، *كتاب الأنبا بلامون*.

(١٠) القمص ميخائيل جرجس، *اليوبيل الفضي ١٩٩٧م. السجل التاريخي لقداسة البابا شنودة الثالث – الكتاب الثاني*، جـ.١.

ونشأتها[١١] وكذلك في *الدليل الفريد إلى مزارات وأديرة الصعيد*[١٢].

أهمية الدير ومكتشفاته:

يعتقد البعض أن دير القديس الأنبا بلامون السائح أقدم من أديرة القديس باخوميوس أبي الشركة. وقد تحاكَى سُكَّان القرية المُشيَّد بها دير القديس الأنبا بلامون السائح والقُرَى المُحيطة بها عن فضائل هذا القديس العظيم وقدراته ومعجزاته في شفاء المرضى وتحقيق الأماني لمُريديه وزوَّار ديره. كما أشار كثيرون إلى تواجُد وانتشار الحمام باستمرار فوق هذا الدير الأثري الهام ومبانيه الدينية المختلفة، لذا يتوافد الأقباط لزيارته في محافظة قنا.

الشكل رقم ٢. أيقونة القديس الأنبا بلامون السائح. https://www.coptichistory.org/new_page_2362.htm

وفي مقالته الهامة المنشورة في جريدة *وطني*[١٣]، أشار الباحث الأثري المُتنيِّح جرجس داوود إلى أيقونة نفيسة للقديس الأنبا بلامون السائح. وعُثِر على هذه الأيقونة الأثرية بداخل الدير. وهي مرسومة على الجلد تحت قبو يحمله عمودان. ويظهر عليها القديس الأنبا بلامون السائح مُلتحيًا وواقفًا من الأمام في وَضْع الصلاة بملابسه الطويلة الواسعة البسيطة التي تعكس أهم سِمَات الملابس الرهبانية التي انتشرت في مصر في الفترات المسيحية المُبكِّرة. وتُحيط برأس القديس هالة نورانية دُوِّن بجوارها اسمه، كما هو معتاد في زخارف الأيقونات القبطية الموجودة في أغلب الأديرة والكنائس القبطية في مصر وخارجها. ويمسك القديس الأنبا بلامون السائح بصليبٍ في يده اليُمنى، وفي يده اليُسرى عصا على شكل الحرف اليوناني **T tau**. وتُعتَبَر الأيقونة في حالةٍ جيدة من الحفظ إلى حدٍّ ما (**الشكل رقم ٢**). **(يتبع)**

---

(١١) *موسوعة الأديرة القبطية ونشأتها*.

(١٢) القمص يوأنس كمال، *الدليل الفريد إلى مزارات وأديرة الصعيد*، الجيزة، ٢٠١٠.

(١٣) جرجس داوود، *وطني*، العدد ٢٣٥٤، السنة ٤٩، القاهرة (بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٤).

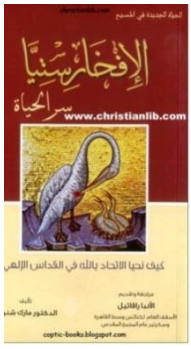

الإفخارستيا[١]
سر الحياة
كيف نحيا الاتحاد بالله في القداس الإلهي؟ (٢)

مراجعة وتقديم
الأنبا روفائيل
أسقف عام عين شمس والمطرية

تأليف
الدكتور مارك شنوده

نستكمل في هذا العدد ما بدأناه في تقديم فصول من كتاب: "الإفخارستيا، سر الحياة". هذا الكتاب الآبائي المُتميِّز، الذي يُحلِّق بقارئه في السماويَّات.

الفصل الرابع: الإفخارستيا، حياة الإيمان: الإفخارستيا تزيد وتُنمِّي الإيمان، كما يقول الرسول: «مُتَأَصِّلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ، كَمَا عُلِّمْتُمْ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ» (كو٢: ٧). حينما نُصلِّي ما نؤمن به، فإن العبادة (وبالأخص الإفخارستيا) تُغذِّي الإيمان وتُحوِّله لحياةٍ مُعاشة.

الإفخارستيا هي سرُّ الإيمان، فنحن نتناول الله الظاهر في الجسد (في هيئة خبز وخمر). الإفخارستيا من جهةٍ، تحوي كل إيمان الكنيسة؛ ومن جهةٍ أخرى، لا يمكن فهمها بدون إيمان.

القداس الإلهي هو رحلة إلى الملكوت، رحلة لقاء الله بشعبه، رحلة تبدأ بخروج وتنتهي بدخول. إنها رحلة يُحرِّكها الإيمان، مثل رحلة إبراهيم إلى أرض كنعان. ونحن مدعوُّون مثل إبراهيم في كل قداس أن نترك كل اهتمامٍ أرضي لأجل أن نتقابل مع المسيح ليُعطينا عربون الملكوت، الذي كان يُرمَز إليه قديمًا بأرض كنعان.

الفصل الخامس: الإفخارستيا، حياة الصلاة: "الصلاة هي التصاق بالله، في جميع لحظات الحياة ومواقفها، فتصبح الحياة صلاةً واحدة بلا انقطاع ولا اضطراب" (ق. باسيليوس الكبير). الحياة بعد القداس الإلهي يجب أن تكون امتدادًا للقداس نفسه: "ليتورجيا ما بعد الليتورجيا"، إذا جاز التعبير. فحياتنا بعد انتهاء الليتورجيا يجب أن تكون صدًى للإفخارستيا التي اشتركنا فيها.

نحن نُصلِّي في الإفخارستيا لأجل كل شيء في حياتنا، ولأجل كل ما هو حولنا، ونُدخِل كل شيء في الصلاة. فنحن بهذا نقوم بعملية تنقية لعالمنا، أو بالأحرى لذواتنا من الشوائب المتراكمة علينا، والتي من شأنها أن تكون طبقةً عازلة تُفقدنا الإحساس بالله وتحجب رؤيته في العالم.

---

(١) يقع الكتاب في أكثر من ٥٠٠ صفحة، وصدر عن مركز باناريون للتراث الآبائي، الطبعة الثانية، مارس ٢٠١٤.

الفصل السادس: الإفخارستيا، حياة النور: القداس الإلهي ليس هو إحياءً لذكرى تاريخية تمَّت في الماضي لا تخصُّنا، بل إن الإفخارستيا هي امتدادٌ لحياة ووجود المسيح وعمله في الكنيسة، واستمرارٌ لحضوره المُنير في المؤمنين. نحن في كل مرة نتناول فيها من جسد الرب ودمه، ننفصل عن الظلمة ونتحد بالنور، ننفصل عن الموت ونتحد بالحياة. ففي الإفخارستيا تستنير وتستضيء أذهاننا وقلوبنا، وتصبح أعمالنا أعمال نور: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ» (مت ٥: ١٦). إننا في الإفخارستيا نحيا عربون الملكوت، ونقتني النور داخلنا ويكون لنا الرب نورًا أبديًّا (انظر: إش ٦٠: ٢٠).

الفصل السابع: الإفخارستيا، حياة الشركة: سرُّ الإفخارستيا يقوم على أساس شركة المؤمنين معًا في جسد الرب، وهذه الشركة تُمكِّن الإنسان ليس فقط من الاشتراك مع أعضاء كنيسته المحلية، بل تُمكِّنه من الاشتراك مع كافة المؤمنين ومع السمائيين والذين رقدوا على الإيمان منذ البدء.

سرُّ الإفخارستيا هو نموذج للعمل المشترك بين الله والإنسان (Synergy)، مما يجعله عملًا "إلهيًّا إنسانيًّا". هو مثل جناحي الطائر، كلاهما يسند ويُكمِّل الآخر: «نَحْنُ عَامِلُونَ مَعَهُ» (٢كو ٦: ١).

إن سرَّ قوة الكنيسة الأولى وانتشارها يكمُن في اجتماعها معًا، وحياة الرسل في شركة الإفخارستيا. في الإفخارستيا يتحد الجسد (الكنيسة) بالرأس (المسيح) في وحدة لا تنفصم وشركة أبدية.

الفصل الثامن: الإفخارستيا، حياة الشفاء: الآباء يُعلِّموننا أن الإفخارستيا هي "ترياق الخلود" و"دواء لعدم الموت". كانت البشرية قبل التجسُّد تُشبه الأبرص الذي شفاه المسيح (مر ١: ٤٠)، الذي كان مُقيمًا في القبور، فالبشرية كانت مريضة بالخطية (البَرَص)، ومنعزلة عن السماء، بل مُنطرحة بعيدًا عن الله مثل المُصابين بالبَرَص. إلَّا أن الله، ونحن بعد خطاة، أرسل ابنه ليفتقدنا ويشفينا، يقول الكتاب: «أَرْسَلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَاهُمْ» (مز١٠٧: ٢٠). كان تجسُّد الابن هو لشفاء البشرية من الموت والفساد. فالمسيحية هي ديانة شفاء، والكنيسة هي مستشفى، وليست محكمة.

الفصل التاسع: الإفخارستيا، حياة مُتجدِّدة: الإفخارستيا هي الطعام الذي به ننمو في الحياة الجديدة. الحياة الروحية هي حياة نموٍّ دائم في العلاقة مع الله، والله عندما خلق الإنسان خلقه لينمو في البرِّ والقداسة شيئًا فشيئًا. نحن في الإفخارستيا نختبر عبادة مُتجدِّدة يجتمع فيها الماضي

والحاضر والمستقبل معًا في آنٍ واحد. الكنيسة بليتورجياتها لا تشيخ في أيِّ عصرٍ من العصور، بل هي جديدة دائمًا لا تخضع للزمن. العهد الجديد الذي صنعه الله معنا بدمه، يُجدِّده معنا في كل إفخارستيا، مانحًا إيَّانا مراحم جديدة لا تزول كل صباح (انظر: مر ٣: ٢٢، ٢٣).

الفصل العاشر: الإفخارستيا، حياة أبدية: الإفخارستيا تُثبِّتنا في المسيح وتغرس فينا الحياة الأبدية. القداس الإلهي من بدايته إلى نهايته يتمحور حول الحياة الأبدية. إننا في الإفخارستيا نتناول دم العهد الأبدي (عب ١٣: ٢)، ننال به تحقيق الوعد بالحياة الأبدية: «وَهذَا هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَنَا هُوَ بِهِ: الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (١يو ٢: ٢٥)، وهذا الوعد سيكتمل تحقيقه في السماء. إنَّ الإفخارستيا هي حركة خروج وانطلاق من الزمن، ودخول في الأبدية، هي أيضًا انجماع كل شيء وإرجاعه إلى الله (أف ١: ١٠)، «لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ» (يو ١١: ٥٢).

الفصل الحادي عشر: الإفخارستيا، حياة عُرسية: الإفخارستيا هي سرُّ المسيح الختن (العريس)، وأيضًا سرُّ العروس أي الكنيسة، ففيها يجتمع ويتحد العريس السماوي بكنيسته. نحن في الإفخارستيا نتناول المسيح الذي قدَّم نفسه ذبيحةً لأجلنا، كفعل محبة وتقدمة من الثالوث: فالآب بذل ابنه الوحيد، والمسيح قدَّم ذاته بإرادته، والروح القدس يُقدِّم كل ما هو للمسيح لنا. وبذلك يعود الإنسان إلى محبته الأولى (رؤ ٢: ٤)، أي إلى الله وإلى الآخر من خلال الله. ومِن ثمَّ يُقدِّم الإنسان ذاته ثانيةً لله "في المسيح" كتقدمة محبة من الإنسان للثالوث.

وبعد عزيزي القارئ، هذا العرض لهذا الكتاب المُتميِّز، هو غيضٌ من فيض، وبحرٌ من محيط، لتقديم بعض من جوانب "سرِّ الإفخارستيا"، سر عشاء عُرس الخروف (رؤ ١٩: ٩).

نودُّ في الختام أن نشرح أيقونة الغلاف، فهي لطائر البجع، وهو يطعن جنبه ليُطعِم صغاره من دمه. ويُعَدُّ طائر البجع أحد الرموز التي استُخدمت للتعبير عن الإفخارستيا منذ القرون الأولى للمسيحية، لأن من طبيعة هذا الطائر أنه في حالة عدم توفُّر الطعام الكافي لفراخه، يقوم بجرح نفسه وإطعام صغاره بدمه! أليس في هذا صورة رمزية للمسيح الذي يُطعم المؤمنين من دمه في الإفخارستيا؟!

The Benefits of Fasting

Since it is now clear to you from the example both of the Lord and his subjects that the value of fasting is considerable, and that great benefit accrues to the soul from it, I beg you, my dear people, now that you know its benefit not to resist its saving power through indifference nor lose heart at its approach, but rejoice and be glad, as blessed Paul says, "The more our external selves are destroyed, the more the inner person is renewed" (2Cor 4:16). Fasting is nourishment for the soul, you see, and just as bodily nourishment fattens the body, so fasting invigorates the soul, provides it with nimble wings, lifts it on high, enables it to contemplate things that are above, and renders it superior to the pleasures and attractions of this present life.

Homily on Genesis, on the beginning of the Holy Lent, 9
FC, vol. 74, p. 25-26.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Ἰωάννου τοῦ Χρυσοστόμου

Ἀλλ᾽ ὅτι μὲν μεγάλη τῆς νηστείας ἡ ἰσχὺς, καὶ πολὺ τὸ ἐκ ταύτης κέρδος τῇ ψυχῇ προσγινόμενον, καὶ ἐκ τῶν δούλων καὶ ἐκ τοῦ Δεσπότου δῆλον ἡμῖν γεγένηται· παρακαλῶ οὖν τὴν ὑμετέραν ἀγάπην, εἰδότας αὐτῆς κέρδος, μὴ διὰ ῥᾳθυμίαν ἀπώσασθαι τὴν ἐκ ταύτης ὠφέλειαν, μηδὲ δυσχεραίνειν πρὸς τὴν ταύτης παρουσίαν, ἀλλὰ χαίρειν καὶ ἀγάλλεσθαι, κατὰ τὸν μακάριον Παῦλον· Ὅσῳ γὰρ ὁ ἔξω ἡμῶν ἄνθρωπος διαφθείρεται, τοσούτῳ ὁ ἔσω ἀνακαινοῦται. Νηστεία γὰρ τῆς ψυχῆς ἐστι τροφὴ, καὶ καθάπερ αὕτη ἡ σωματικὴ τροφὴ πιαίνει τὸ σῶμα, οὕτω καὶ ἡ νηστεία τὴν ψυχὴν εὐτονωτέραν ἐργάζεται, κοῦφον αὐτῇ τὸ πτερὸν κατασκευάζει, μετάρσιον αὐτὴν ποιεῖ, τὰ ἄνω φαντάζεσθαι προξενεῖ, ἀνωτέραν αὐτὴν τῶν ἡδονῶν καὶ τῶν ἡδέων τοῦ παρόντος βίου ἀπεργαζομένη.

PG 53, 24-25.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2023 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

OUR DUTY DURING LENT[1]

Beginning of Lent, 1976

An adequate article for Lent by our late spiritual father, Father Matta El-Meskeen, to strengthen us in our journey in life, written back in 1976. Enjoy! NB: *All quotations are taken from the NKJV, if not otherwise mentioned.*

DEAR BRETHREN.

In the beginning of Lent, I would like to remind you that the spiritual strategy of our beatified fathers in the Lord rests primarily on asceticism. Asceticism is to keep one's body, soul, and spirit holy to the Lord with the help of grace, the efficacy of the word, and the authority of the divine mystery.

Concerning the *help of grace*, it is free of charge. It is offered to whoever asks, seeks, or knocks at the door of the Lord's compassion, according to the words of the Savior:

> If a son asks for bread from any father among you, will he give him a stone? Or if he asks for a fish, will he give him a serpent instead of a fish? Or if he asks for an egg, will he offer him a scorpion? If you, then, being evil, know how to give good gifts to your children, how much more will your heavenly Father give the Holy Spirit to those who ask Him? (Lk 11:11-13).

So the Lord calls our attention to the fact that it is the Father who offers the Holy Spirit graciously in response to our petition and request through the boldness of His Son Jesus Christ our Lord. The role of the Holy Spirit in asceticism is one of a captain to a ship.

Concerning the efficacy of the word, if the word of Scripture is taken seriously, its power lies in the purification of body, soul and spirit. It has the searing effect of fire and the smashing effect of a hammer. For Scripture says through the prophet Jeremiah, "'what is the chaff to the wheat?" says the Lord. "Is not My word like a fire?" says the Lord, "and like a hammer that breaks the rock in pieces?'" (Jer 23:28-29).

The Word of God pierces like a two-edged sword that penetrates to the secret division of soul and spirit (cf Heb 4:12). It exposes all the petty excuses of the soul which she claims belong to the spirit but are actually the result of her own ailment and malady. The Word makes its way lightly and discerningly, more sharply than a sword, to reach hidden sins in

[1] Matthew the Poor, *Sojourners* (Wadi al-Natrun, Egypt: St Macarius Press, 2019): 46-51. This letter is taken from the book under the title *Rasā'il al-Qummuṣ Mattā al-Miskīn* (Monastery of Saint Macarius, Wādī al-Naṭrūn 2007) and corresponds to letter 52, *al-Ni'ma wa-l-Kalima wa-l-Sirr* (Grace, Word and Mystery, 185-193).

bone marrow. The Word exposes sins that are hidden within the folds of joints and the nodes of one's soul. It lays bare what the conscience has surreptitiously retained across the years and what has been hidden in the heart away from light.

However, the Word of God can only do these things at the instigation of grace. One's aim and target should be single and clear—surrender of one's life to God.

As for the power of *divine mystery*, it is the exclusive work of Christ in the elect, who are the children of His own mystery. He sprinkles them with His blood and thus they are encompassed by the mystery of redemption that initiates them into divine light. To this effect St. John says, "But if we walk in the light as He is in the light, we have fellowship with one another, and the blood of Jesus Christ His Son cleanses us from all sin" (1Jn 1:7).

In this Lent, all of the above-mentioned means of asceticism (namely grace, word and mystery) join together with an extraordinary power. This is because Christ Himself leads us in this ascetic procession, fasting and praying alone. The monks used to 'race' during this fast to reach a high state of spiritual vigilance. They fathomed the mystical depths of the spiritual gifts which used to revive the whole church on this occasion year after year. Their fiery zeal and divine love used to set the hearts of novices and beginners ablaze. They devoured the sloth of the lazy and rubbed off the rust from lagging hearts. They spurred them to stand up, run the good race and renew their covenant. The vision of Christ as an ascetic, triumphant leader on the mount of fasting used to inspire the whole church.

The season of fasting comes this year while the whole world looks forward to Him who would save, for the stroke has reached from the sole of the foot even to the crown of the head (cf Is 1:6). The case is well near the throes of death and everybody is looking to us for help. People are seeking demonstration of the life that is within us. Are we not monks who supposedly die to the world every day? I hate to say that even though we own nothing but our tears, we have become like a tree that has held back its fruit at the season of fruition. Its plight is in danger for the owner of the garden would demand the land be cleared were it not for the generous gardener who stands pleading that the tree have just one more year (cf Lk 13:8).

Therefore, the burden of prayer for the whole Church and the whole world is laid upon you. It is God who has laid it upon us with its demands and exorbitant price. What is needed is prayer that would shake the heavens—prayer of agony, suffering and intense grief; prayer of pouring sweat like that of Gethsemane; prayer of travail and birth pangs like that of a woman in labor. As St Paul says, "my little children, for whom I labor in birth again until Christ is formed in you" (Gal 4:19). It is *you* who are the womb which is destined to conceive sinners painfully until the birth pangs come through the Holy Spirit from on high. The Church would then deliver them in an acceptable year and a time of salvation. We have prayed much but not the desired prayer of anticipation that concludes with nothing short of response on God's part. It is a matter of commitment and is not optional; for the sinner either goes to hell or is born for life eternal. The gulf is enormous and we are the ones to blame.

✞✞✞

ST. MARK **February 2023**

Monthly Review

The Calling of St Matthew the Apostle

The Lord Jesus Christ calls St Matthew saying: "Follow me" (Matthew 9:9). The Lord said: "No one can serve two masters; ... You cannot serve God and mammon" (Matthew 6:24).

[By the archbishop of Trier, Germany, 10th century.]